تقديم إلى الساحة المقدسة للإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام

كرب وبلاء إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف
والمرابطة الإيمانية للمنتظرين

إسماعيل شفيعي سروستاني

كرب وبلاء إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف والمرابطة الإيمانية للمنتظرين
المؤلف: إسماعيل شفيعي سروستاني
التنقيح: وحدة البحوث بمؤسسة موعود العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف الثقافية
الناشر: موعود العصر
الطبعة: الأولى، ٢٠٢٠
مكان الإصدار: طهران

عنوان الناشر: صندوق بريد ٨٣٤٧-١٤١٥٥
الهاتف: ٦٦٤٥٩٠٣٧ فكس: ٦٦٤٥٩٠٢٣
المعرض على الإنترنت: www.yaranshop.ir

الفهرس

الفصل الأول: كرب وبلاء إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف ٧

مقدّمة ٩

الأرض، لا تخلو من حجة ١١

شؤون الإمام ومقامه ١٣

الإمام مبسوط اليد ١٩

لكل إمام كرب وبلاء ٢٣

الأسباب المؤثرة في حدوث غيبة الإمام ٣٥

حكمة وجود الحجة في الأرض ٥٥

الفصل الثاني: تبعات الغيبة ٦٩

حصل؛ الذي لما كان يجب أن يحصل! ٧١

عصر الحيرة، عصر المسكنة (ابتلاء التيه) ٧٣

الفصل الثالث: رفع الشدائد ٩٩

شرط رفع الشدائد ١٠١

الهجرة نحو الإمام، شرط ضروري لمعرفة الإمام ١١١

الفصل الرابع: المرابطة الإيمانية للمنتظرين ١٢٥

المرابطه، حراسة الإيمانية الثغور للمنتظرين ١٢٧

الرباط والمرابطة ١٣١
الإنذار الأحمر المستديم حتى وقت الظهور ١٤٣
صلة الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف بواسطة المال..... ١٤٧
قاعدة نفي السبيل! ١٥١

الفصل الأول:

كرب وبلاء إمام الزمان عليه السلام

مقدّمة

التقيت في يوم الجمعة الموافق التاسع من ربيع الأول، حشدا من طلبة جامعة «خرم اباد» وتحدثت بطلب منهم، حتى الهزيع من الليل حول هذا اليوم الميمون، بدء إمامة حضرة صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، وبعد العودة، رأيت أن من الضروري، وضع كتاب لمعالجة بعض الشبهات والإجابة على بعض التساؤلات التي تشغل ذهن شباننا عادة.

ومنذ أول تاسع من ربيع الأول حيث بايع جمع من الشيعة المخلصين، إمام عصرهم وزمانهم وعقدوا معه عهدا لنصرته، يمر زهاء ألف ومائة وواحد وثمانين عاما.

وورد في السنة الإلهية لأئمة الهدى عليهم السلام أنه بعد انتهاء عهد كل إمام، كان مقام الولاية والإمامة الحقة ينتقل إلى إمام اخر فيبايعه الشيعة ويذودوا عنه بارواحهم وأموالهم ويحمون عهده المقدس.

ولم يكن نقل عهد الولاية والإمامة أمرا اعتباريا، مثلما كان سائدا ورائجا بين ملوك العرب والعجم، بل كان أمرا حقيقيا ووجوديا، يحصل بإذن الله، وكل إمام يحوز جميع شؤون الولاية الخاصة، إذ أن أمر الإمامة والولاية الكلية، كان يحقق ويثبت له التصرف في جميع سكان عالم الإمكان.

وعلى مرّ التاريخ، كان كل من الأنبياء والأوصياء الإلهيين عليهم السلام جاهزين حسب

الظروف التاريخية والعصر الذي كانوا يعيشونه ونطاق مهمتهم التي أوكلها الله تعالى إليهم، لتقبل وتحمل البلايا. إن العزلة والإنفراد وملازمة البيت، والسجن والأسر والهجرة والغربة والشهادة وبالتالي الغيبة، كان كل منها بمنزلة **كرب وبلاء**[1] هيأ وجهز أولياء الله أولئك أنفسهم لها، وتقبلوها بمنتهى الرضى والصبر والأناة.

إن اختلاء الإمام علي عليه السلام لخمسة وعشرين سنة واستشهاده فجرا في مسجد «الكوفة» والجرح في ساحات الجهاد والصلح المرغم والمكره وبالتالي تسمم الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ودخول سيد سهل «كربلاء» الميدان واستشهاد الإمام الحسين عليه السلام في ظهر عاشوراء، والأسر في غياهب سجن **هارون** والشهادة في العزلة بالسم الذي دسه **السندي بن شاهك**[2] للإمام موسى بن جعفر عليه السلام، كل ذلك كان أوجه مختلفة من كرب وبلاء، كانوا قد أعدوا وهيأوا أنفسهم لها بحلاوة تامة.

إن بلايا الإمام، هي حصيلة قصة مريرة لعدم وفاء الناس بالعهد وفصم البيعة مع الإمام من جهة وارتقاء الإمام لمراتب القرب إلى الله العليا والرائعة، قد تحصلت بعد تجربة كرب وبلاء البلاء من جهة أخرى.

ومن سنن الله أن يتعرض الناس للإمتحان والإختبار في بحبوحة البلاء، عسى أن يسلكوا بعد أن يبلوا بلاء حسنا، الطريق جنبا إلى جنب الإمام ويجربوا المراتب العليا للقرب، أو في وجه آخر، يتكبدوا خسائر دنيوية وأخروية فادحة على خلفية نكث العهد.

---

١. **كرب وبلاء: الكرب**: ألم وحزن، و**البلاء**: الإمتحان والبلوى.

٢. **السندي بن شاهك، سجان الإمام موسى الكاظم عليه السلام ومن الوجوه المعروفة في العصر العباسي. وكان يتعامل بقسوة وعنف مع الإمام السابع للشيعة في السجن. وقتل الإمام الكاظم عليه السلام من خلال دس السم له في السجن. (ويكيبيديا الشيعة، مادة السندي بن شاهك.)**

الأرض، لا تخلو من حجة

إن انتقال عهد الولاية والإمامة بعد استشهاد كل إمام إلى إمام آخر، معطوف بضرورة حضور حجة الله المتعال في الأرض ودوام وبقاء سلسلة تواصل سكان عالم الإمكان مع بارئ الكون والوجود، مثلما قال الإمام الصادق عليه السلام:

«**لو خلت الأرض طرفة عين من حجّة لساخت بأهلها**»[1]

إن المثال البسيط على هذه الواقعة في العالم الفيزيقي، هو وصل وربط جميع الأدوات الكهربائية والإلكترونية بما فيها المصابيح والمدافئ و... بواسطة الأسلاك بمصدر إنتاج الطاقة الكهربائية، إذ أن قطع اتصال هذه التجهيزات بمصدر إنتاج الطاقة الكهربائية، يفضي إلى تعطلها.

وفي عالم الميتافيزيقا، فان جميع البرية والخلق ومن أجل دوام وبقاء التواصل والإفادة من مصدر النور الوجودي والحقيقي، بحاجة إلى الإتصال والإرتباط بمصدر الفيض.

إن مجمل هذا المعنى كامن في عبارة «**رزق الورى**»[2] التي وردت بشان أحد شؤون الإمام عليه السلام.

إن كل كائن مقيم في أي من العوالم الأرضية والسماوية، ومن أجل الوجود

---

١. **ابن بابويه، محمّد بن علي**، «عيون أخبار الرّضا عليه السلام»، طهران، الطبعة الاولى، ١٣٧٨هـ .ق.، ج ١، ص ٢٧٢.
٢. **المجلسي، محمّد باقر**، «زاد المعاد»، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤٢٣هـ .ق.، ص ٤٢٣.

واكتساب القوة والكمال و... بحاجة إلى رزق مادي وغير مادي ملائم.

وعندما يتم الإشارة في الكثير من الآيات والزيارات والأدعية المأثورة إلى الأرض والسماء، فان القصد هو عالم الغيب والشهود والعالم الجلي والخفي، والقصد من السماء هو ليس هذه السماء المادية العامر بالقمر والكواكب والشمس.

إن العوامل الخافية على أعيننا المادية، عديدة، وثمة من يقيم في عامة تلك العوالم، في حين أنه لا علم لنا بهم؛ مثلما أننا الإنس غير قادرين بصفة عامة على مشاهدة الجن، بينما هم مثلنا، كائنات ومخلوقات تحيى وتكسب رزقها.

وفي أي زمان، فان حجة ناطقة، تتولى بإذن الله، تمشية الشؤون المادية والمعنوية لجميع البرية والخلق، إلى أن ينتهي عهده وعصره، لتنتقل مهمته ومسؤوليته إلى الإمام الذي يخلفه.

وفي مجال الفكر الولائي، فان الإمام هو صاحب منصب خليفة الله، ويحوز جميع شؤون الله المتعال، بما فيها كسب الرزق نحو الله.[1] فقبل ألف ومائة وواحد وثمانين عاما، وبعد شهادة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، إنتقل أمر الإمامة والولاية الحقة باذن الله، إلى الحجة بن الحسن عجل الله تعالى فرجه الشريف.

١. ولمزيد من الدراسة حول شؤون الإمام راجع كتاب «ولاية ولي الله» (من مجموعة حرم الحبيب الواقعة في ستة أجزاء)، لهذا المؤلف، وهو من إصدارات «موعود العصر».

شؤون الإمام ومقامه

وقلت أن ولاية وإمامة الإمام المعصوم والمنصب من قبل الله المتعال، هو أمر حقيقي ووجودي.

إننا نواجه في العالم دائما، الأمرين **الاعتباري** و**الحقيقي الوجودي**.

إن **ولاية** المعصوم عليه السلام هي المقام والمقدرة والقدرة على التصرف في جزء العالم وكله. أكان في العالم الفيزيقي أو العالم الميتافيزيقي؛ بالتحديد مثل الانسان الذي يمر في ذروة البؤس والإضطرار، وهو راقد في المستشفى ويسمع من طبيبه المعالج، أن أمره قد شارف على النهاية وليس ثمة دواء وعلاج يشفيه، أو بالأحرى، عندما يرفض الطبيب، المريض ويقطع الأمل عنه، فان الاخير والمحيطين به، يتوسلون من شدة الإضطرار والتوتر، إلى ساحة أئمة الهدى عليهم السلام.

إن المريض والمحيطين به، وعندما يقطعون الأمل والرجاء من الأطباء المعالجين والعاجزين عن التدخل وعلاج الورم السرطاني القاتل، يأملون أن يتدخل صاحب الولاية التكوينية والتصرفية، بإذن الله، لفك العقد، وعلاج المريض وذلك على النقيض من تصور وتشخيص الجراحين المتمرسين.

وفي هذه الأثناء، يعقد المريض المضطر والمصاب بالوهن، الأمل على الولاية وقدرة التصرف الالهية للإمام المعصوم عليه السلام، وعليه، فعندما يدور الكلام حول ولاية ولي الله، فان القصد كليا، هو قدرة الولي وحق تصرفه في الشؤون الجزئية

والكلية للعالم، بإذن الله.

وتعقيبا على نطاق ومساحة تصرف وولاية الإمام المعصوم عليه السلام، يجب القول أن هـذه الولاية ونطاقها تغطي جميع سـاحات الحياة الجزئيـة والكلية المتصلة بسكان جميع العوالم (ما سوى الله). ويقول الملاصدرا في هذا الخصوص:

وتنقسـم الولاية إلى قسمين هما التكوينية والتشريعية، لان شؤون العالم إما حقيقيـة أو اعتبارية. فالشـؤون الحقيقية هى شـؤون لا دخل للعمل الطوعى والإرادى للانسـان فى وجودها أو عدمه، والقصد من الشـؤون الإعتبارية التى تملك مصطلحات عديدة هو الشـؤون التى تسود الحياة الانسـانية، بحيث إن لم يكن الانسان قائما وموجودا، فلا وجود لها، مثل الملكية والرئاسة والزوجية.[١]

إن كلا منا، يقبل في الروتين اليومي ومن منطلق العقل، مراتب من الولاية وحق التصرف في الشؤون الجزئية للحياة ويؤمن به. إن الولاية تسلم بقدرة وإذن تدخل وتصرف الأطباء والمهندسين والأب و... في الشؤون الجزئية للحياة، ونلجأ إليهم في وقت الضرورة لتلقي العلاج أو إصلاح السـيارة أو بناء البيت، ونطلب منهم معالجة مشكلتنا.

إن الولايـة وإذن تدخل وتصرف هذه المجموعـات الإجتماعية، هي جزئية واعتبارية بطبيعة الحال.

إن ولـي الله الأعظم، هو الإمام المعصوم والمنصـوب من قبل الله المتعال، صاحـب الولاية الكلية الحقيقية، وهذا المقـام والإذن الإلهي لا ينتزع منه، وهو صاحـب هذا المقام إلى الأبد، وإننا ومن دون أن يكون لدينا علم بهذه الدقائق، نتوسـل إلى جميع أئمة الهدى عليهم السلام ونطلب منهم الملاذ والشـفاعة والدواء من منطلـق الإيمان والعقيدة في جميع الحالات والمواقـف التي نمر بها بحالة من الإضطرار والإضطراب.

---

١. **قوام شيرازي، صدر الدّين محمد (ملّاصدرا)**، «مفاتيح الغيب»، إصدارات مولى، ص ٤٨٧.

إن رجوعنا إلى الإمام المعصوم عليه السلام وطلب الحاجة منه، هو في الحقيقة مؤشر على قبولنا وإقرارنا بالولاية التصرفية لهذا الإمام الهمام.

وكما أسلفت، فان عهد الإمامة والمسؤولية ينتقل بعد كل إمام، إلى إمام آخر، وبالأحرى، فان الإمام الصامت يتحول إلى إمام ناطق.

فالصامت لا يصدر أمرا.

إن الحكم هو من مقامات الإمام، فالإمام الفعلي الذي يصدر الأوامر ويطيعه الآخرون، هو إمام ناطق والإمام الذي لا يصدر الأوامر في حضور وعصر الإمام الناطق هو الإمام الصامت!

عن الحسين بن أبى العلاء قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام: **تكون الأرض ليس فيها إمام؟** قال عليه السلام: «**لا.**» قلت: **يكون إمامان؟** قال عليه السلام: «**لا إلّا وأحدهما صامت.**»[1]

إن مقامات الأناس وشؤونهم في العلاقات والمناسبات الفردية والجماعية، هي اعتبارية بصفة عامة، وثمة عوامل مختلفة بما فيها المرض والوهن وتغير المنظومات الإجتماعية والمشاحنات والخلافات في الرأي وضعف وقوة الإمكانات و... تؤثر بشكل مباشر على هذه المقامات وتدفع إلى تحريكها وتناقلها؛ والمثال على ذلك أن طبيبا متخصصا في القلب وصاحب حق التصرف وعلاج المرضى، يعزل عن جزء من هذا المقام والموقع رغم تخصصه وعلمه وذلك على إثر المرض والشيخوخة أو العجز. وعليه فان هذا المقام والموقع هما اعتباريان بالنسبة له وليسا حقيقيين ووجوديين.

إن الشؤون الحقيقية هي ليست اكتسابية أصلا. وهي ليست حصيلة ونتيجة الدرس والبحث والمدرسة والتخصص، ولا تؤخذ من انسان آخر، وأن أي إنسان آخر، مهما بلغت قدرته فهو غير قادر على حيازة هذا المقام الخاص أي الولاية الكلية والإمامة الحقة؛ وبناء على ذلك، فان الإمام هو **مجتبى ومصطفى** من قبل

١. **الكليني، محمّد بن يعقوب**، «الكافي»، ج ١، ص ١٧٨.

الله، من دون تدخل من سائر الناس.

ويقول الإمام على أمير المؤمنين عليه السلام:

«إنّ الله طهّرنا و عصمنا و جعلنا شهداء على خلقه و حجّته فى أرضه و جعلنا مع القرآن و جعل القرآن معنا لا نفارقه و لا يفارقنا.»[١]

إن جميع سكان عالم الإمكان، بدء من الجمادات وصولا إلى الملائكة المقربين، هم مخلوقات الله، وبالتالي أصبحوا تحت ولاية وشهادة الإمام الذي يعرف عمله ونظره بوصفه الحجة وهو بالضرورة صاحب حق التصرف والولاية.

ولا يمكن عدّ وإحصاء شؤون[٢] ومقامات المعصومين عليهم السلام.

إن الشؤون الاعتبارية للأناس، هي محدودة ومؤقتة وقابلة للإنتزاع والتجريد ومتغيرة. إن المقامات والمناصب الاعتبارية المكتسبة بما فيها الرئاسة والإدارة والخبرة و... تتأثر كلها بهذه المتطلبات والضرورات.

إن الشؤون الإلهية مثل الأبوة والأمومة والأخوة والأختية، ليست من دون تأثر بالقيود والمتغيرات، بيد أن كل إمام معصوم، يحظى بجميع الشؤون الولائية الخاصة التي هي ثابتة وراسخة وموجودة بأكملها عند الله تعالى ومنحت للإمام ليدخل كونه خليفة الله، في شؤون خلق الله وحلها ومعالجتها.

إن «الزيارة الجامعة الكبيرة» تتطرق إجمالا إلى بعض من هذه الشؤون الخاصة والحقيقية. ويتقدم الزائر في الفقرات الاولى من هذه الزيارة الرفيعة بالسلام والتحية والتأدب، ويتوجه إلى المعصوم عليه السلام قائلا:

«السّلام عليكم يا أهل بيت النّبوّة، وموضع الرّسالة، ومختلف الملائكة، ومهبط الوحى، ومعدن الرّحمة، وخزّان العلم، ومنتهى الحلم، وأصول الكرم، وقادة الأمم، وأولياء النّعم، وعناصر الأبرار، و دعائم الأخيار، و

---

١. **الصفّار، محمّد بن حسن**، «بصائر الدّرجات فى فضائل آل‌محمّد عليهم السلام»، قم، **مكتبة** آية الله المرعشي النجفي، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ .ق.، ج ١، ص ٨٣.

٢. **الشأن** هو المسألة والأمر والحال والمقام والمنزلة والاعتبار. وجمعه شؤون: «**كلّ يوم هو فى شأن.**» (سورة الرّحمن، الآية ٢٩.)

ساسة العباد، و أركان البلاد، و أبواب الإيمان، و أمناء الرّحمن... السّلام علـى أئمّة الهـدى، و مصابيح الدّجى، و أعلام التّقـى، و ذوى النّهى، و أولى الحجى، و كهف الورى، ... و مساكن بركة الله، و معادن حكمة الله، و حفظة سرّ الله...»[1]

إن كلا مـن هذه العبارات، يشـير إلى شـؤون من الشـؤون الحقيقية للإمام المعصوم عليه السلام والمنصوب من قبل الله، وهذه الشؤون ثابتة وموجودة وأبدية لجميع أئمـة الهدى عليهم السلام، وأن المؤمنين الذين يعاهدون ويبايعون كلا من أئمة الهدى عليهم السلام مـن منطلق الحقيقة المتلازمة بالمعرفة، يتذكرون وينتبهون ويحفظون هذه الحدود والشـؤون، ويقدمون في ضوء معرفتهم بها، كل ما يملكون وجل قدراتهم المادية والمعنويـة للإمام ليجد هـذا الإمام الهمام، إمكانية ممارسـة الولاية وتطبيق أمر الإمامـة وتحقق الأمر والنهي على عباد الله، ويرشـد الجميع للصراط المسـتقيم ويأخذ بايدهم إلى بر الأمان.

إن الله سـبحانه وتعالى الذي **طهّر** و**عصم** ذرية الوحي، ووضع مقام **الحجة** بين الخلق، جعل أهل البيت عليهم السلام، **معدن الرحمة** و**أولياء النعم**.

إنهم أولياء النعم، بالتمام لجميع المخلوقات والكائنات المحتاجة للنعمة، في جميع الساحات والمراتب الوجودية الجلية والخفية، وكما أشير، فان هذا المقام، حقيقي ودائمي ولا يقبل الزوال، بالنسـبة للمعصومين الأربعة عشر من ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله.

---

١. **ابن بابويه، محمّد بن علي**، «من لا يحضره الفقيه»، قم، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ .ق.، ج ٢، صص ٦١٠-٦١١.

الإمام مبسوط اليد

ويؤتى على ذكر الإمكانية الالهية لممارسة الولاية والإمارة والإمامة على مقدرات خلق الأولين والآخرين وبالتالي بسط يد الإمام المعصوم عليه السلام في الأمر والنهي وتطبيق الأحكام الإلهية تحت عنوان «بسط يد الإمام».

وبذلك فان الإمام الغائب، وعلى الرغم من امتلاكه جميع الشؤون آنفة الذكر، فانه لا تتوفر لديه بسبب استيلاء الظالمين على منصب الأمر والنهي، إمكانية ومجال ممارسة الولاية وتصدي الإمارة وتنفيذ الأوامر والنواهي بين الخلق، لذلك فان عباد الله مثلهم مثل القطيع بلا راع معرضون للذئاب المفترسة آكلة البشر وتقع في مرمى آلاف الكوارث والآفات، وتبقى محرومة من السير الإكمالي وتجربة النمو ونيل الفلاح.

وكما أشرنا في المقدمة، فقد كنت في ليلة ويوم بدء إمامة صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف في جامعة «خرم اباد» وبحضور طلبتها، فكان بعضهم يصغي والبعض الآخر يدون كتابات. وبدا لي أن هذا اليوم أي يوم الجمعة الموافق التاسع من ربيع الأول، هو أنسب يوم للتحدث في هذا المجال، وإلا فان المظاهر الاحتفالية والحلوى وتلاوة الشعر، رغم ما تحمله من جماليات وحفاوة، ستزيد من إسدال ستائر الغفلة وعدم المعرفة إن لم ترفدها معرفة في هذا الحقل.

الإمام وانبساط اليد

وبعد رحيل نبي الإسلام المكرم صلى الله عليه وآله، جاء إمام بعد إمام ومضت سلسلة الإمامة قدما حلقة بحلقة، لكن وبسبب أن أبواب الإيمان وقادة العباد، لم تكن مبسوطة اليد، تزايد استضعاف وذل وهوان المؤمنين والشيعة حينا بعد حين وتصرف الخلفاء وسلاطين الظلم والجور، كالذئاب الفتاكة وزادوا من رقعة ظلمهم وجورهم كما زاد الشيطان الرجيم، في كل حين وأكثر من قبل، من مساحة حكمه وأضاف عدد أشياعه إلى أن وصلنا إلى عصرنا هذا.

وعلى النقيض من مقام الأنبياء والرسل الذين يملكون شأنا خاصا للرسالة ومكلفون من قبل الله المتعال للذهاب نحو الناس لإبلاغ الخبر وإعلان الرسالة ودعوة الناس وأن يكونوا منذرين ومرشدين والناطقين بكلام الله، فان أوصياء الله وأئمة الهدى عليهم السلام لم يكلفوا بالذهاب نحو الناس، بل من تكليف الناس أن يأتوا بالضرورة إلى الإمام وأن يكونوا دعاة له، وجعله مبسوط اليد وأن يفوضوه أمر الإمامة والإمارة على شؤونهم وأن يكونوا ملتزمين بشأنه وينصرونه لتجري بينهم الأحكام الفردية والإجتماعية المرتبطة بجميع الشؤون المدنية بما يتطابق مع جاء به الرسول والنبي.

إن الإمام عليه السلام كان (ومايزال) **صاحب الأمر** و**صاحب السيف** ومحقق مقام خليفة الله ومنفذ الأحكام والحدود في جميع المناسبات والعلاقات الفردية والجماعية للناس، وعليه ومن أجل وضع هذه الشؤون والمقامات، موضع التطبيق، لابد من الإنتظار ليأتي الناس إليهم. ولهذا السبب توجه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله إلى الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام قائلا:

«**مثل الامام مثل الكعبه إذ توتى و لاياتى.**»[1]

كما قال صلى الله عليه وآله:

«... **فإنّما مثلک فى الأمّة مثل الكعبة نصبها الله علما و إنّما تؤتى من**

١. **خزّاز الرازي، علي بن محمّد**، «كفاية الأثر في النصّ على الأئمة الإثنى عشر عليهم السلام»، قم، ١٤٠١هـ .ق.، ص ١٩٦.

كلّ فجّ عميق...»[١]

إن مثل الإمام، كمثل الكعبة، يشد الناس الرحال إليها لأداء فريضةالحج، إنهم مكلفون للذهاب نحو الإمام وإن لم يقبل الناس، فانه ورغم امتلاكه كل الشؤون والجدارة والكفاءة، لا بد من الإنتظار لكي يدعى.

إن جماعة المسلمين كانوا من دفع الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام للمكوث في البيت لمدة خمسة وعشرين عاما، إلى أن تدفقوا على بيت الإمام بعد مقتل عثمان، لدعوته، مثلما قال الإمام عليه السلام:

«فما راعنى إلّا والنّاس إلىّ كعرف الضّبع قد انثالوا علىّ من كلّ جانب حتّى لقد وطئ الحسنان وشقّ عطافى حتّى إذا نهضت بالأمر نكثت طائفة و فسقت أخرى ومرق آخرون كأنّهم لم يسمعوا قول الله تبارک و تعالى – تلک الدّار الآخرة نجعلها للّذين لا يريدون علوّا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتّقين.»[٢و٣]

وعلى خلفية كل ما حصل من نكث العهد، تجهزوا وساروا على طريق الجفاء ونكث العهد، فقتلوا الإمام فجرا في «مسجد الكوفة». إن هذا الجفاء ونكث العهد حصل أيضا في عهد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام.

وكانت الرسائل الغزيرة التي أرسلها الكوفيون ودعوتهم التي حثت الإمام الحسين عليه السلام للتوجه نحو الكوفيين. وبعد استشهاده عليه السلام لم يبق هنا داع وزائر وحاج لمرقد الإمام وحصلت بالتالي الغيبة الصغرى والغيبة الكبرى، وانتقلت جميع مقامات أمر ونهي الخلافة والإمارة الحقة إلى الغاصبين الطغاة والجبابرة، وحل بخلق الله ما نعرفه وتعرفون.

---

١. **الشريف الرضي، محمّد بن الحسين**، «خصائص الأئمة عليهم السلام» (خصائص أمير المؤمنين عليه السلام مشهد، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ .ق.، ص ٧٣.

٢. سورة القصص، الآية ٨٣.

٣. .»**الشريف الرضي، محمّد بن الحسين**، «نهج البلاغة صبحي صالح»، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ .ق.، ص ٤٩، الخطبة الثالثة (الشقشقية)، ترجمة دشتي.

لكل إمام كرب وبلاء

إن البـــلاء والامتحان، يعـــدان الوجه الآخر لعملة الاختيار وقرينة الانســـان، منذ اللحظـــة الأولى التي يبصر النـــور فيها وحتى الوفاة التي تمثل بلاء عظيما، أي أن كل كائن صاحب عقل وصلاحية، لابد وأن يخوض دائرة أهل البلاء والامتحان.

ولم يستثن الله الحكيم، أحدا من البشر، ولم يمنح أي انسان، ضمانا بالسلامة والقـــدرة والمال الذي لا يفنى، حتى أكرم أنبياء الله الكرام محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وعلى العكس.

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إن أشدّ النّاس بلاء الأنبياء ثمّ الّذين يلونهم ثمّ الأمثل فالأمثل.»[1]

وكذلك عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال و عنده **سدير:**

«إنّ الله إذا أحبّ عبدا غته بالبلاء غتا...»[2]

إن وهـــن وزوال أي مـــن القوى وكل ما يظهر على مـــرأى أبناء آدم من نعمة ونقمة، هو مظاهر من البلاء والامتحان الالهيين، بحيث قال الله تعالى في ســـورة الفجر:

«فَأَمَّا الْإِنْســـانُ إِذا مَا ابْتَلاهُ رَبُّـــه فَأَكْرَمَهُ وَ نَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَ أَمَّا إِذا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهانَنِ * كَلاَّ بَلْ لا تُكْرِمُونَ

---

١. **الكليني، محمّد بن يعقوب**، «الكافي»، ج ٢، ص ٢٥٢.

الْيَتيمَ * وَ لا تَحَاضُّونَ عَلى طَعامِ الْمِسْكينِ»[١]

وثمة أدلة وأوجه عديدة نقلت عن أئمة الهدى عليهم السلام في تبيان حكمة ابتلاء الانسان وامتحانه، بما فيها: امتحان العباد وقياس أعمال الناس والإرشاد نحو الخير والصلاح والردع عن الانزلاق والتهاوي والإرتقاء والنهوض بالكمال، والتنبيه والإيقاظ والأخذ بيد الإنسان لرفعه من المراتب الدنيا إلى الرتب العليا و...

وهذه حكم خفية تظهر في هيئة البلاء، ويقول **مولانا جلال الدين:**

إصبر وتريت ولا تأبى فى ظلمات البلاء
إذ أن ماء الحياة يصل فى الظلمات

ويقول في موقع آخر، من خلال إماطة اللثام عن طبقات البلاء:

تعلم كيمياء من النبى
فكلما وهبک الحق، يهبک برضى
ويفتح باب الجنة فى تلک اللحظة
فان رضيت فانت فى طور الابتلاء
وإن أتاک رسول الحزن
فقف بجانبه وكأنک تعرفه
وإن حدث جفاء للمعشوق
فرحب به مبتهجا

والطريف أن البلايا التي تحصل ويستشف منها الألم والحزن والإرهاق، تتحول تارة إلى سلم يمكّن سلوك طريق الكمال والارتقاء إلى المراتب المعنوية العليا. وكأنهم عبأوا دائما ماء الحياة في باطن الظلمات.

وقال الإمام الصادق عليه السلام وفي وصف البلاء:

«البلاء زين للمؤمن و كرامة لمن عقل لأنّ فى مباشرته الصّبر عليه والثّبات عنده تصحيح نسبة الإيمان قال النّبىّ صلى الله عليه وآله نحن معاشر الأنبياء

١. سورة الفجر، الآيات ١٥-١٩.

أشـدّ النّاس بلاء والمؤمنون الأمثـل فالأمثل و من ذاق طعم البلاء تحت سـرّ حفظ الله له تلذّذ به أكثر من تلذّذه بالنّعمة واشتاق إليه إذا فقده لأنّ تحـت نيران البلاء والمحنة أنوار النّعمة وتحت أنوار النّعمة ميزان البلاء والمحنـة وقد ينجو من البلاء ويهلک فی النّعمة كثير وما أثنى الله على عبـد من عباده من لدن آدم عليه السلام إلى محمّد صلى الله عليه وآله إلّا بعد ابتلائه ووفاء حقّ العبوديّـة فيه فكرامات الله فی الحقيقة نهايـات بداياتها البلاء وبدايات نهاياتها البلاء ومن خرج من سـكّة البلوى جعل سراج المؤمنين ومونس المقرّبين ودليل القاصدين ولا خير فی عبد شـكا من محنة تقدّمها آلاف نعمة واتّبعهـا آلاف راحة ومن لا يقضى حقّ الصّبر فی البلاء حرم قضاء الشّـكر فی النّعماء كذلک من لا يؤدّی حقّ الشّكر فی النّعماء يحرم عن قضاء الصّبر فی البلاء و من حرمهما فهو من المطرودين و قال أيّوب عليه السلام فی دعائه اللهمّ قد أتى علیّ سـبعون فی الرّاحة والرّخاء حتّى تأتی علیّ سـبعون فی البلاء وقال وهب بـن منبّه البلاء للمؤمن كالشّـكال للدّابّة والعقال للإبل.» وقال علی عليه السلام: «الصّبر من الإيمان كالرّأس من الجسـد ورأس الصّبر البلاء وما يعقلها إلّا العاملون.»[1]

وعن المعصومين عليهم السلام:

«من أحبّنا أهل البيت فليستعدّ للبلاء.»[2]

ونقل عن الإمام علی عليه السلام:

«من أحبّنا أهل البيت فليستعدّ عدّة للبلاء.»[3]

---

١. منسوب إلى جعفر بن محمّد، الإمام الصادق عليه السلام، «مصباح الشّريعة»، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ .ق.، صص ١٨٣-١٨٤.

٢. اسـترآبادي، علـي، «تأويل الآيات الظاهرة فی فضائل العترة الطاهـرة»، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ .ق.، ص ٧٧٥.

٣. الثقفي، إبراهيم بن محمّد بن سعيد، «الغارات»، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ .ق.، ج ٢، ص ٤٠١.

حكمة بلاء الأولياء

لقد سمعنا كثيرا ما قيل: «**البلاء للولاء.**»

و:

الأكثر قربا وتقربا فى هذا المحفل
يسقى كأس البلاء أكثر

إن مخالطة ومعاشرة جماعة من الناس ممن يغوصون في ظلمات الكفر والشرك والنفاق، ويعبدون الأوثان صنيعة أيديهم، يمثل بلاء عظيما للأنبياء والرسل.

وكأن الله تعالى يقوم من خلال إرسال الرسل وإنزال الكتب، بهداية الإنسان الغارق في وحل الدنس والتلوث نحو الصراط المستقيم، بيد أن ابتلاء الأنبياء والأوصياء في النزاعات والنقاشات الجاهلة، يسهم أيضا في ارتقاء كمالاتهم ومراتبهم حتى بلوغ مراحل الكمال العليا.

وأي من الأناس بمن فيهم **النبي نوح** عليه السلام قادر على احتمال عبء وتعب مخالطة الجهلة الكافرين؟ إن أيا من هؤلاء الرجال الالهيين المصطفين، مروا بكرب وبلاء حسب الظروف التاريخية والعصر اللذين عايشوهما.

وثمة رواية مذهلة في حكمة البلايا التي ابتلي بها الأولياء الإلهيين:

حدّثنا **محمّد بن إبراهيم بن إسحاق الطّالقانيّ** قال:

كنت عند **الشّيخ أبى القاسم الحسين بن روح** رحمه الله مع جماعة فيهم علىّ بن **عيسى القصرىّ** فقام إليه رجل فقال له: **إنّى أريد أن أسألك عن شيء.** فقال له: **سل عمّا بدا لک.** فقال الرّجل: **أخبرنى عن الحسين بن علىّ** عليه السلام **أ هو ولىّ الله؟** قال: **نعم.**

قال: **أخبرنى عن قاتله أ هو عدوّ الله؟** قال: **نعم.** قال الرّجل: **فهل يجوز أن يسلّط الله عزّ وجلّ عدوّه على وليّه؟!** فقال له أبو القاسم الحسين بن روح رحمه الله:

افهم عنّى ما أقول لک! اعلم أنّ الله عزّ وجلّ لا يخاطب النّاس بمشاهدة العيان و لا يشافههم بالكلام ولكنّه جلّ جلاله يبعث إليهم رسلا من

أجناسهم وأصنافهم بشرا مثلهم ولو بعث إليهم رسلا من غير صنفهم وصورهم لنفروا عنهم ولم يقبلوا منهم فلمّا جاءوهم وكانوا من جنسهم يأكلون الطّعام ويمشون فى الأسواق قالوا لهم أنتم بشر مثلنا ولا نقبل منكم- حتّى تأتونّا بشىء نعجز أن نأتى بمثله فنعلم أنّكم مخصوصون دوننا بما لا نقدر عليه فجعل الله عزّ وجلّ لهم المعجزات الّتى يعجز الخلق عنها فمنهم من جاء بالطّوفان بعد الإنذار والإعذار فغرق جميع من طغى وتمرّد ومنهم من ألقى فى النّار فكانت بردا وسلاما ومنهم من أخرج من الحجر الصّلد ناقة وأجرى من ضرعها لبنا ومنهم من فلق له البحر وفجّر له من الحجر العيون وجعل له العصا اليابسة ثعبانا تلقف ما يأفكون ومنهم من أبرأ الأكمه والأبرص وأحيا الموتى بإذن الله وأنبأهم بما يأكلون وما يدّخرون فى بيوتهم ومنهم من انشقّ له القمر وكلّمته البهائم مثل البعير والذّئب وغير ذلک فلمّا أتوا بمثل ذلک وعجز الخلق عن أمرهم وعن أن يأتوا بمثله كان من تقدير الله عزّ وجلّ ولطفه بعباده وحكمته أن جعل أنبياءه عليهم السلام مع هذه القدرة والمعجزات فى حالة غالبين وفى أخرى مغلوبين وفى حال قاهرين وفى أخرى مقهورين ولو جعلهم الله عزّ وجلّ فى جميع أحوالهم غالبين وقاهرين ولم يبتلهم ولم يمتحنهم لاتّخذهم النّاس آلهة من دون الله عزّ وجلّ ولما عرف فضل صبرهم على البلاء والمحن والاختبار ولكنّه عزّ وجلّ جعل أحوالهم فى ذلک كأحوال غيرهم ليكونوا فى حال المحنة والبلوى صابرين وفى حال العافية والظّهور على الأعداء شاكرين ويكونوا فى جميع أحوالهم متواضعين غير شامخين ولا متجبّرين وليعلم العباد أنّ لهم عليهم السلام إلها هو خالقهم ومدبّرهم فيعبدوه ويطيعوا رسله وتكون حجّة الله ثابتة على من تجاوز الحدّ فيهم وادّعى لهم الرّبوبيّة أو عاند أو خالف وعصى وجحد بما أتت به الرّسل والأنبياء عليهم السلام ليهلک من هلک عن بيّنة و يحيى من

حيّ عن بيّنة.

«ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيّ عن بيّنة...»[١]

قال **محمّد بن إبراهيم بن إسحاق**، فعدت إلى **الشّيخ أبى القاسم بن روح** رحمه الله من الغد وأنا أقول فى نفسى: **أ تراه ذكر ما ذكر لنا يوم أمس من عند نفسه؟** فابتدأنى فقال لى:

يا محمّد بن إبراهيم! لأن أخرّ من السّماء فتخطفنى الطّير أو تهوى بى الرّيح فى مكان سحيق أحبّ إلىّ من أن أقول فى دين الله عزّ وجلّ برأيى أو من عند نفسى بل ذلک عن الأصل ومسموع عن الحجّة عليه السلام.

والأكبر من البلاء والابتلاء، هو صبر الأولياء وشكرهم عندما يمرون بكل تلك الصعاب والشدائد:

عن **أيّوب** عليه السلام قالت له امرأته:

لو دعوت الله أن يشفيک. قال: «ويحک كنّا فى النّعماء سبعين عاما فهلمّى نصبر على الضّرّاء مثلها فلم يلبث إلّا يسيرا حتّى عوفى.»[١]

وقد قلنا سابقا أن هذا البلاء، هو على غرار سلم يوصل الصابر والشاكر لله تعالى إلى المراتب التوحيدية العليا ويجعله ينال التقرّب.

قال **سهل بن عبد الله**: قال موسى عليه السلام:

«يا ربّ أرنى درجات محمّد وأمّته.»

قال:

«يا موسى إنّک لن تطيق ذلک ولكن أريک منزلة من منازله جليلة عظيمة فضّلته بها عليک وعلى جميع خلقى.»

فكشف له عن ملكوت السّماء فنظر إلى منزله كادت تتلف نفسه من أنوارها وقربها من الله عزّ وجلّ. قال:

«يا ربّ بما ذا بلّغته إلى هذه الكرامة؟»

---

١. **ورام بن أبي فراس، مسعود بن عيسى**، «مجموعة ورّام»، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ .ق.، ج ١، ص ٤٠.

قال:

«بخلق اختصصته به من بينهم وهو الإيثار يا موسى لا يأتينى أحد منهم قـد عمل به وقتا من عمر إلّا اسـتحييت من محاسـبته وبوّأته من جنّتى حيث يشاء.»[1]

صاحب أعظم البلاء

إن أبا عبد الله الحسين عليه السلام قد ابتلي من بين جميع الأولياء والأوصياء، باعظم البلاء، البلاء الذي كان أكثر جسـامة وشدة من جميع البلايا التي حلت بجميع الأنبياء والأولياء.

وقد ذبح بنو اسرائيل، نبيا، لكنهم لم يبيدوا ذريته ولم يأسروا محارمه في طريق على امتداد «كربلاء» حتى الشام» و...

وفي المقابل، لم ينل أحد، المنزلة التي نالها أبو عبدالله الحسين عليه السلام، لدرجة أن تربته باتت تشفي السقيم.

وإن كان مقررا أن ينل أحدهم المراتب العليا عن طريق الراحة والسكينة والأمن المسـتدام، لما كان هناك أنسب وأقدر وأكرم من نبي الإسلام المكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام. إن هذه الحقيقة تبين ذلك البيت الذي أشرته إليه:

والأكثر قربا وتقربا فى هذا المحفل

يسقى كأس البلاء أكثر

وانطلاقا من هذا قلت، إن البلاء هو سلم الرقي.

وإلى جانب ابتلاء الإمام، فان الناس يمتحنون، وكما يقول الشـاعر صاحب اللسان العذب:

إن أردوا ضرب عنقى فانى سأجثم تحت السيف مبتهجا

لان الموت فى سبيل الله، هو خير العاقبة

---

١. **ورام بن أبي فراس، مسعود بن عيسى**، «مجموعة ورّام»، ص ١٧٣.

«وَلا تَحسَبَنّ الّذينَ قُتِلوا في سَبيلِ اللّه أمواتًا بَل أحياءٌ عِندَ رَبّهِم يُرزَقونَ»[١]

ولهذا السبب كلما اشتدت حرارة شمس ظهر عاشوراء ولهيبها، كلما اتقد وجه أبي عبد الله الحسين(ع) وأصحابه الذين احتملوا الصعاب ولم يبدو تذمرا، ولم يروا في ظاهر هذا البلاء وباطنه وصميمه، إلا الجمال واللطف والرضا، بحيث أن **السيدة زينب الكبرى**(س) قالت عندما شمت بها يزيد اللعين:

«ما رأيت إلّا جميلا.»[٢]

إن بحر البلاءِ الهائج، جعل استغناء أبي عبد الله الحسين(ع) عن غير الله، يزدهر ويعلى أكثر فاكثر مقامه السامي لدرجة أنه سيجلس على يمين العرش.

وفي حفرة المقتل، طلب الكثير من الملائك والجن وأرواح الأنبياء، إذنا بالدخول لنصرة الإمام(ع)، بيد أن الإمام رفض كل ذلك، لكي يبدي مجمل استغناه عن ما سوى الله، وكأن لسان حاله يقول:

إنه واحد ولا أحد سواه

وحده لا إله إلا هو

وحتى لحظة نقل عهد الولاية والإمامة بإذن الله وفي آخر رمق، إلى ابنه، الإمام علي بن الحسين(ع) وانتقل هو إلى الخلود، كان قائد سفينة أوسع وأسرع.

«مكتوب عن يمين العرش إنّ الحسين مصباح الهدى و سفينة النّجاة والعروة الوثقى.»[٣]

وسئل الإمام الصادق(ع): **ألستم كلكم سفن النجاة؟** فقال(ع):

«كلّنا سفن النّجاة لكن سفينة جدّي الحسين(ع) أوسع في لجج البحار أسرع.»[٤]

---

١. سورة آلعمران، الآية ١٦٩.

٢. **المجلسي، محمّدباقر**، «بحار الأنوار»، ج ٤٥، ص ١١٦.

٣. **ابن نما الحلّي، جعفر بن محمّد**، «مثير الأحزان»، قم، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ .ق.، ص ٤.

٤. **المجلسي**، «بحارالأنوار»، ج ٢٦، ص ٣٢٢، ح ١٤؛ نقلا عن كتاب **آقاتهراني، مرتضى**، «سوداء على

وجاء في «سورة الإسراء» في وصف «القرآن»:

«ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين»[١]

وعلى إثر نظرة وعمل الإمام الحسين عليه السلام منح الله تربته، منزلة، تشفي في عرض «القرآن الكريم» كما أن الحسين عليه السلام هو المظهر التام لرحمة الله الواسعة ويغطي جميع خلق العالم تحت لوائه في سفينة وسعها وسع جميع العوالم الجلية والخفية.

إن التربة، هي تنزيل مقام ولاية أبي عبد الله الحسين عليه السلام في الأرض. إن هذا التراب، اكتسى ميزة الشفاء، ويمكن فهم ما النعم التي أنعم بها الله تعالى، على رجال معروفين، بمن فيهم العباس وعلي أكبر. إن هؤلاء الذين هم من ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله، شهداء صحراء «كربلاء» البارزين.

إن ابتلاء أئمة الهدى عليهم السلام استمر على إثر نكث الناس العهد، إلى أن وصل إلى عصر الإمامين العظيمين، الهادي عليه السلام والحسن العسكري عليه السلام. إن بلاء وحبس هذين الإمامين في معسكر «سامراء» وبالتالي استشهادهما، أصبح مقدمة للابتلاء العسير لغيبة آخر حجة الله وذخيرته في الأرض، إمام الزمان عجل الله فرجه الشريف.

بلاء من صناعة اليد

وعلى الرغم مما نتصور، إن كانت قوانين الفيزياء التي تسود العالم الملكي والمادي، دقيقة ولا تتكرر وثابتة ودائمة، وتغطي جميع الأشياء والعلاقات، وقابلة للتحديد على يد العموم والخواص في جميع الدهور، فان سنن الله في ساحة أرحب، هي الاخرى دقيقة ولا تتكرر وثابتة ودائمة. إن هذه القواعد والسنن، صدرت عن مصدر واحد وانتشرت في جميع سوح الحياة الجلية والخفية.

إن غليان الماء في درجة حرارة مائة سنتيغراد وتجمده في درجة الصفر، جربا

اليد»، ص ٨٨.

١. سورة الإسراء، الآية ٨٢.

في كل عصر ودهر ولدى كل جيل، فلم يعسر علينا القبول في ساحة أخرى أن:

«كلّ نفس بما كسبت رهينة»[1]

وكما يقول المثل الدارج:

«الإناء ينضح بما فيه».

ويقول مثل آخر:

الثور الغبى، يلتهم جنبه![2]

إن قسطا وافرا من البلايا المريرة والحلوة التي تحل بالإنسان، هي نتيجة عمله. وهي في الحقيقة، تظهر كردة فعل وانعكاس عمل الشخص ذاته في هيئة البلاء. إن محصلة العمل الجماعي للناس في كل عصر وزمان، يحملهم ظروفا تاريخية خاصة، وهو أمر لا مفر منه. وبعبارة أخرى، فان البشر المتأثرين بفكرهم وعملهم، يتنقلون دائما بين القواعد والسنن الثابتة الجارية في الكون، ويترددون هنا وهناك، ويطيقون التبعات الناتجة عن كل سنة، لكن المؤسف أن المخارج والسبل التي يتوصلون إليها للخروج من الأزمات لا تنفع بالضرورة بسبب الجهل بهذه السنن، وتزيد أحيانا من شدة وحدة الأزمات التي تعترضهم، وهذا يشبه الإنسان الذي يتعرض لحريق هائل بسبب جهله بأثر النار وبرميل البنزين، ومن أجل إطفاء الحريق، يسكب عليه برميلا من النفط، ويبقى في حيرة من أمره ويتساءل: لم لا تخمد النار.

وعليه أقول: إنه بغض النظر عن مجموعة السنن التاريخية، التي تنطوي في حد ذاتها على تطورات مريرة وحلوة لأبناء آدم، فان الله تعالى يبلي البشر من منطلق الحكمة وبقصد التنبيه والتنبه، والمساعدة والنصرة، والإختبار والقياس و... ببلايا ليرشدهم في ضوء بروز جميع مواهبهم وقواهم الكامنة، إلى المراتب

---

١. سورة المدّثّر، آية ٣٨.

٢. وأخذ هذا المثل من بيت من أبيات «الشاهنامة» **للحكيم فردوسي طوسي:**

لا تأمن كثيرا ذراعك

لان الثور الغبي، يلتهم جنبه

العليـــا، ويتحولون بعد تجاوز كل هـــذه الإمتحانات إلى عارفين بالحقائق الكامنة في الكون، وفي النهاية، ينزعون إما إلى العبودية أو أن يبقوا في طغيانهم يعمهون.

الأسباب المؤثرة في حدوث غيبة الإمام

وعلى أي حال، فان الجنّ والإنس ابتلوا بغيبة حجة الله المتعال، وحاول الكثير من الباحثين المسلمين الشيعة على مدى السنين اكتشاف أدلة وأسرار حدوث الغيبة. وبلا شك، وكما قال الإمام الصادق عليه السلام فان لا أحد يدري الحقيقة الخفية والسرّ النهائي للغيبة. ورأى المعصومون عليهم السلام في بعض الروايات أن سبب غيبة إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف هو سر من الأسرار الإلهية.

وعن **عبد الله بن الفضل الهاشمىّ** قال: سمعت الصّادق جعفر بن محمّد عليه السلام يقول:

«إنّ لصاحب هذا الأمر غيبة لا بدّ منها يرتاب فيها كلّ مبطل.»

فقلت: **ولم جعلت فداک؟** قال عليه السلام:

«لأمر لم يؤذن لنا فى كشفه لكم.»

قلت: **فما وجه الحكمة فى غيبته؟** قال عليه السلام:

«وجه الحكمة فى غيبته وجه الحكمة فى غيبات من تقدّمه من حجج الله تعالى ذكره إنّ وجه الحكمة فى ذلک لا ينكشف إلّا بعد ظهوره كما لم ينكشف وجه الحكمة فيما أتاه الخضر عليه السلام من خرق السّفينة و قتل الغلام وإقامة الجدار لموسى عليه السلام إلى وقت افتراقهما يا ابن الفضل إنّ هذا الأمر أمر من أمر الله تعالى و سرّ من سرّ الله و غيب من غيب الله ومتى علمنا

أنّــه عزّ وجلّ حكيم صدّقنا بأنّ أفعالــه كلّها حكمة وإن كان وجهها غير منكشف.»[١]

ويتبين لنا من خلال بعض الروايات، جانب من الأســباب والعلل المؤثرة في غيبة حجة الله المتعال.

واتضح في كتاب «نهاية الغيبة، وسنة الغيبة في الأنبياء السلف»[٢] ومن خلال تقديم العديد من الروايات، أن الغيبة بوصفها ســنة من الســنن الإلهية قد حدثت أيضا لدى الأمم السالفة وعصر وعهد سائر الأنبياء السلف.

إن الله ســبحانه وتعالى يعرف ما عدد الأســباب المذكورة والمؤثرة في وقوع الغيبة، مشتركة بين الأمم السالفة وأمة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

يمتحن خلقه

واعتبر موضوع امتحان وقياس نسبة وفاء الناس واستقامتهم، كواحد من العوامل المؤثرة في واقعة الغيبة.

ويقول الإمام الكاظم عليه السلام:

«إذا فقد الخامس من ولد السّــابع فالله الله فــي أديانكم لا يزيلنّكم أحد عنهــا يا بنى إنّــه لا بدّ لصاحب هذا الأمر من غيبــة حتّى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به إنّما هى محنة من الله عزّ وجلّ امتحن بها خلقه.»[٣]

ويستشــف من هذه الروايــة أن الغيبة، هي في أحــد أوجهها، ابتلاء يعترض المؤمنين ليتضح مدى ثباتهم وجهوزيتهم لإسداء الخدمة والتضحية.

إن جميع الناس طهر وأعفاء وأســخياء وشــجعان في ظروف الأمن والنعمة والرخاء وانعدام الخطأ، وكما يقول الشاعر:

ما أفضل أن يعتمد معيار التجربة

---

١. **ابن بابويه، محمّد بن علي**، «كمال الدّين وتمام النعمة»، طهران، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ .ق.، ج ٢، ص ٤٨٢.
٢. وقد صدر هذا الكتاب لمؤلفه **إسماعيل شفيعي سروستاني** عن «موعود العصر عجل الله فرجه» للمرة الأولى عام ١٣٩٤.
٣. **ابن بابويه، محمّد بن علي**، «كمال الدّين وتمام النّعمة»، ج ٢ صص ٣٥٩-٣٦٠.

ليسود وجه من يغشّ ويخدع

إن الحادثة والابتلاء هما بمنزلة حجر المحك الذي يقيس ويختبر مدى التزام الخلق بالعفة والعدالة والشجاعة.

وعندما أقام **النبي موسى** عليه السلام في «جبل الطور» بامر الله للمناجاة لمدة أربعين يوما، انخدع معظم الناس بالسامري بسبب ضعف الإيمان واليقين، وتخلوا عن الديانة الموسوية.

وإشارة إلى هذه السنة الإلهية، ثمة رواية للإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام بعد الإشارة إلى الوجود المبارك للإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف قوله:

عن **فرات بن أحنف** عن أبى عبد الله جعفر بن محمّد عن آبائه عليهم السلام قال:

«زاد الفرات على عهد أمير المؤمنين عليه السلام فركب هو وابناه الحسن والحسين عليهما السلام.»

فمرّ بثقيف فقالوا: **قد جاء علىّ يردّ الماء.** فقال علىّ عليه السلام:

«أما والله لأقتلنّ أنا وابنای هذان وليبعثنّ الله رجلا من ولدى فى آخر الزّمان يطالب بدمائنا و ليغيبنّ عنهم تمييزا لأهل الضّلالة حتّى يقول الجاهل ما لله فى آل محمّد من حاجة.»[1]

وليست قلة من الناس ومن بينهم الشيعة، ممن يسعون عبر كل منفذ ونافذة، لكشف زمن الظهور وإماطة اللثام عن غيبة الإمام عجل الله فرجه الشريف، من دون أن يكلفوا أنفسهم بالقيام بما يلزم أو التحضير لذلك.

ونقل **محمّد بن منصور الصّيقل** عن أبيه قال:

دخلت على أبى جعفر الباقر عليه السلام وعنده جماعة فبينا نحن نتحدّث وهو على بعض أصحابه مقبل إذ التفت إلينا وقال:

«فى أىّ شىء أنتم هيهات هيهات لا يكون الّذى تمدّون إليه أعناقكم

---

١. **ابن أبى زينب، محمّد بن ابراهيم**، «الغيبة للنعماني»، طهران، صدوق للنشر، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ .ق. ص ١٤١.

حتّى تمحّصوا هيهات ولا يكون الّذى تمدّون إليه أعناقكم حتّى تميّزوا ولا يكون الّذى تمدّون إليه أعناقكم حتّى تغربلوا ولا يكون الّذى تمدّون إليه أعناقكم إلّا بعد إياس ولا يكون الّذى تمدّون إليه أعناقكم حتّى يشقى من شقى ويسعد من سعد.»[١]

تغربلون؛ غربلة آخر الزّمان

إن موضوع غربلة الناس، يعد أحد العوامل المؤثرة في واقعة الغيبة وإحدى ضرورات ومتطلبات التمهيد للظهور وتذليل العقبات.

إن أعمدة الدولة الكريمة لحضرة ولي العصر عجل الله فرجه لا تقام على أساسات فاسدة ومواد مهترئة، وبما أن هذه الدولة هي حصيلة مجاهدة جميع الأنبياء والرسل والأوصياء في كل العصور والقرون وحلم مجمل مستضعفي ومظلومي التاريخ، وتقوم مسنودة بالخريطة الإلهية العامة لإمامة الأئمة الصالحين، فانها يتعين بالضرورة أن تكون عارية عن أي خلل وخالية من الأسباب التي حالت على مدى القرون السالفة، دون قيام الدولة الحقة. ولذلك، وبعد غربلة الناس سيسمح لأضخم وأكبر الرجال والنساء الحضور فيها

ويقول الإمام محمد الباقر عليه السلام حول هذه المرحلة من غربلة الناس في

«والله لتميّزنّ والله لتمحّصنّ والله لتغربلنّ كما يغربل الزّؤان من القمح.»[٢]

وفي رواية أخرى، يقسم الإمام الباقر عليه السلام ويؤكد على الغربلة ثلاثا:

روى عن جابر الجعفىّ قال: قلت لأبى جعفر عليه السلام متى يكون فرجكم؟ فقال عليه السلام: «هيهات هيهات لا يكون فرجنا حتّى تغربلوا ثمّ تغربلوا ثمّ تغربلوا يقولها ثلاثا حتّى يذهب [الله تعالى] الكدر و يبقى الصّفو.»[٣]

---

١. **ابن أبى زينب، محمّد بن ابراهيم**، «الغيبة للنعماني»، ص ٢٠٩.

٢. المصدر السابق، ص ٢٠٥.

٣. **الطوسي، محمّد بن الحسن**، «الغيبة للطوسي»، كتاب **الغيبة للحجة**، قم، دار المعارف الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ .ق.، ص ٣٣٩.

إن هذه الأقسام المتتالية، تظهر حتمية وقوع هذه الغربلة من جهة، ومن أن هذه الغربلة ستحصل على مراحل من جهة أخرى.

إن مجمل الحوادث والابتلاءات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وحتى الطبيعية العسيرة، بما فيها الزلازل والفيضانات والحروب، تتولى عملية غربلة الناس، وتقليص عدد السكان، وبعثرة التجمعات والاصطفافات المعادية والمناهضة وحتى إضفاء الحصانة على المؤمنين المجاهدين.

وفي رواية عن الإمام الرضا عليه السلام:

«لا يكون ما تمدّون إليه أعناقكم حتّى تميّزوا و تمحّصوا فلا يبقى منكم إلّا القليل...»[1]

إن الأرض المطهرة والدولة الكريمة للإمام المبين، ليست مدينة بلا بوابات بحيث يدخلها أي كان من أي موقع من دون سؤال وجواب وإذن، ويعمل كعقبة كأداء تحول دون إرساء دعائمها. إن أحد أسباب وقوع الرجعة الشريفة وعودة المؤمنين الخلص من العصور والدهور السابقة، يتمثل في إقحام رجال نشأوا وتربوا على يد الأنبياء والرسل السابقين لينضموا إلى حكام وقادة عصر الظهور.

وكأن رجال من بين الأمم السالفة نشأوا وترعرعوا على يد الأنبياء والرسل، ليكونوا في عصر الظهور، سندا لصاحب الأمر عجل الله فرجه الشريف.

إن أصحاب الكهف والأصحاب الخاصين للإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله بمن فيهم **سلمان الفارسي** و**مالك الأشتر النخعي** وبالتالي شهداء واقعة «كربلاء» هم من ضمن هؤلاء الأنصار والمرافقين لعصر الظهور، إذ سيرجعون ويتولون مع ٣١٣ من الأنصار الخاصين، المناصب الحكومية المهمة في أقاصي الأرض.

وقد جاء الإمام الصادق عليه السلام على ذكر أسماء بعض هؤلاء المؤمنين وقال:

---

١. **المفيد، محمّد بن محمّد**، «الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد»، قم، مؤتمر الشيخ المفيد، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ .ق.، ج ٢، ص ٣٧٥.

«يخرج القائم عجل الله فرجه من ظهر الكوفة سبعة وعشرين رجلا خمسة عشر من قوم موسى عليه السلام الّذين كانوا يهدون بالحقّ وبه يعدلون وسبعة من أهل الكهف ويوشع بن نون وسلمان وأبا دجانة الأنصاريّ والمقداد ومالكا الأشتر فيكونون بين يديه أنصارا و حكّاما.»[١]

كما ورد في تفسير الآية الكريمة **«ثمّ رددنا لكم الكرّة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا»**[٢]

«خروج الحسين عليه السلام فى سبعين من أصحابه عليهم البيض المذهّب لكلّ بيضة وجهان.»[٢] **«المؤذّون إلى النّاس أنّ هذا الحسين قد خرج حتّى لا يشكّ المؤمنون فيه وأنّه ليس بدجّال ولا شيطان...»**[٣]

إن زمن الظهور الأكبر لحضرة ولي العصر عجل الله فرجه، هو زمن شروق الشمس القدسية الحقيقية واستجلاء الحقائق وكشف وفضح الحقارة والخسة والدناءة التي تعشعش في أوكار أرواح الكافرين والمشركين والمنافقين.

وفي ذلك الزمن، وعلى إثر اشتداد البلايا والأزمات، تتفرق صفوف الناس. وينفصل صفا المؤمنين والمنكرين عن بعضهما البعض، ليستقر كل منهما في صفه الحقيقي من دون تظاهر وتستر وكتمان.

إن افتراق الصفوف هذا يبلغ أوجه، قبل الظهور وبين الحوادث وبداية وأثناء بزوغ الفجر المقدس وصبح الحقيقة.

عن **عمر بن يزيد** قال:

إنّى لأتعشّى مع أبى عبد الله إذ تلا هذه الآية: «بَلِ الْإِنْسانُ عَلى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقى مَعاذِيرَهُ»:[٤]

---

١. **المفيد، محمّد بن محمّد**، «الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد»، ج ٢، ص ٣٨٦.

٢. **الشيخ الحر العاملي، محمّد بن حسن**، «الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة»، طهران، نويد، الطبعة الأولى، ١٣٦٢هـ .ش.، ص ٣٥٢.

٣. **الكليني، محمّد بن يعقوب**، «الكافي»، طهران، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ .ق.، ج ٨، ص ٢٠٦.

٤. سورة القيامة، الآيتان ١٤-١٥.

«يا أبا حفص ما يصنع الإنسان أن يتقرّب إلى الله عزّ وجلّ بخلاف ما يعلم الله تعالى إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول من أسرّ سريرة ردّاه الله رداءها إن خيرا فخير وإن شرّا فشرّ.»[1]

ولا بد أن يكون ضرب من التجانس والتساوق بين صاحب العصر والزمان وعصر الظهور وأهل ذلك العصر، لينالوا أهلية الوجود والبقاء في ذلك العصر. وأن من لا يملك في ذاته أي تساوق وانسجام مع الحقيقة الأصيلة، لا بد له أن يخرج من الدور. وهذا البحر الزلال لعصر الظهور الذي يلفظ كل الجثث والجيف والقذارة عنه.

إن واهني المعتقد الديني والفاسقين ذو النيات السيئة، واللاهثين وراء الشهرة والسلطة، سيبادون في خضم الابتلاءات وباشارة وإيعاز من الإمام عجل الله فرجه الشريف.

وقال الإمام الصادق عليه السلام في رواية رائعة بعد تبيان أوجه الشبه بين **النبي نوح** عليه السلام والإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف:

«وكذلك القائم فإنّه تمتدّ أيّام غيبته ليصرّح الحقّ عن محضه ويصفو الإيمان من الكدر بارتداد كلّ من كانت طينته خبيثة من الشّيعة الّذين يخشى عليهم النّفاق إذا أحسّوا بالاستخلاف والتّمكين والأمن المنتشر فى عهد القائم...»[2]

الناس يظلمون أنفسهم

إن ظلم النفس، هو واحد من أهم أقسام الظلم وتحدث عنه القرآن الكريم والروايات بكثرة. وحسيما يقول الشاعر:

إن كفرت جميع الكائنات
فلن يمس كبريائه أبدا

---

١. **الكليني محمّد بن يعقوب**، «الكافي»، ج ٢، ص ٢٩٤.
٢. **ابن بابويه، محمّد بن علي**، «كمال الدّين وتمام النعمة»، ج ٢، ص ٣٥٦.

إن التلوث والتدنس والتنجس، والقذارة الســافرة، تزيل الطهارة والنقاء والصفاء مــن القلب والفؤاد. إن كلا من الذنوب والســيئات والخطايــا، تمحو بطريقة ما الطهارة والصفاء من نفس الإنسان وقلبه، وتضع محلها الدناءة والحقارة. إن الكبر والشــرك والكفر وإنكار الأنبياء والرسل، والتلوث بالذنوب والمعاصي، والإنغماس في الملذات والفجور والإصرار على ترك أوامر الله ونواهيه، تعد من مصاديق ظلم النفس.

«وَما ظَلَمهم الله وَلكنْ أَنْفُسَــهُمْ يظْلِمُونَ * فَأَصابَهُمْ سَيِّئاتُ ما عَمِلُوا وَ حاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ»[1]

إن الســيئات هي أحجار يلقيها الآدميون في طريقهم خلال سيرهم وسفرهم نحو حضرة الحق ويحولون بالتالي دون نيلهم الفلاح والنجاة.

إن حضرة ولي العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف هو ســبيل الله وباب الله الموعود إلى جنة القرب، وواسط الفيض الهائل الذي يرشد كل ضائع وتائه إلى بر الأمان. وإن ظلم الانسان نفســه ويزيد منه، فانه سيكون جاهزا للإبتعاد عن ولي الله والحرمان من فيوضاته، لدرجــة أن الجميع يفقدون إمكانية لقاء الإمــام والتواصل معه. إن انفصام العهد الجماعي مع حجة الله والتوجه العام نحو ائمة الكفر والشرك والنفاق، يولد واقعة وابتلاء الغيبة. ويقول إمام المتقين علي أمير المؤمنين عليه السلام:

«... اعلمــوا أنّ الأرض لا تخلو من حجّة لله عزّ وجلّ ولكنّ الله ســيعمى خلقه عنها بظلمهم وجورهم وإسرافهم على أنفسهم...»[2]

وإن تم النظر بحقيقة، فان من يجيز لنفســه، ممارســة الظلم ضد الاخرين، فانه يكون قد ظلم نفسه قبل غيره. وهذه الآية الكريمة، تظهر غاية تضرع وابتهال العبد المستغفر:

«رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ»[3]

---

١. سورة النحل، الآيتان ٣٣-٣٤.

٢. **ابن أبي زينب، محمّد بن إبراهيم**، «الغيبة للنعماني»، ص ١٤١.

٣. سورة الأعراف، الآية ٢٣.

وربما لهذا السبب، فإن أحد أهم الإجراءات لتوافر أرضية الظهور وتذليل العقبات التي تعترضه، تنحي أبناء آدم عن طريق الظهور. إنهم وبسبب ظلم أنفسهم ونشر السيئات، يصبحون كالحاجز الذي يصد واقعة الظهور الشريفة. وحسيما يقول الشاعر **حافظ**:

لا حائل بين العاشق والمعشوق
إنک الحاجب لنفسک، فازله

إن ما حجب خلف ستار الغيبة، هو الإنسان ذاته. وقد بقي بسبب الحاجب الذي صنعه لنفسه، محروما من لقاء ورؤية الحبيب.

ويقول الشاعر (الايراني) **هاتف اصفهاني**:

إن الحبيب فی تجل من دون ستار
فی کل موقع ومکان یا أولی الأبصار
إبحت عن الشمع والشمس الساطعة
فالنهار جلی وواضح، وأنت تعیش فی لیلة ظلماء
فان وجدت سبیلا للتخلص من ظلماتک
فان العالم بمجمله، مشارق أنوار
إن هذا هو الطریق والسبیل وذلک المنزل
إن کنت رجل الطریق، فتعال واحضر
وبغیر ذلک یا رجل الطریق، قل
کالآخرین أیها الحبیب وامشی خلفه[1]

ممارسة الظلم على ذرية علي عليه السلام

إن الظلم وإساءة الأدب للساحة القدسية للمعصومين عليهم السلام من نسل وذرية علي المرتضى عليه السلام على مرّ الزمان، أنمى بذرة آخر معصوم من الذرية الطاهرة لرسول

١. **هاتف اصفهاني**، «اللازمة».

الله صلى الله عليه وآله.

وبلغ ظلم الناس، لأنفسهم في مواجهة صفوة أبناء آدم، من بين الأنبياء والرسل، مبلغا أن المسلمين، أتوا بابناء رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المذبح، وقتلوهم.

وعن ابن عبّاس:[1]

لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله «المدينة» كانت تنوبه نوائب وحقوق وليس في يده لذلك سعة، فقال الأنصار: **إن هذا الرجل قد هداكم الله تعالى به وهو ابن أختكم، تنوبه نوائب وحقوق وليس فى يده لذلک سعة، فاجمعوا له من أموالكم ما لا يضرّكم.**

فأتوه به ليعينه على ما ينوبه ففعلوا، ثم أتوا به فقالوا: يا رسول الله صلى الله عليه وآله: **إنک ابن أختنا وقد هدانا الله تعالى على يديک وتنوبک نوائب وحقوق، وليس لک عندها سعة فرأينا أن نجمع لک من أموالنا شيئا فنأتيک به فتستعين به على ما ينوبک وها هو ذا**، فنزلت هذه الآية:

«قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ»[2]

وعلى الرغم من أن المؤمنين من الأنصار أطاعوا وانصرفوا عن الفكرة الخاطئة بتوفير أجر الرسالة، لكن المسلمين وعلى إثر مكائد الشيطان، اختلفوا فيما بينهم حول **المودة** لأهل البيت عليهم السلام والمصداق البارز لأقرباء النبي صلى الله عليه وآله والذين لم يكونوا سوى أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام.

عن **[حكيم] بن جبير** قال:

سألت علىّ بن الحسين بن علىّ عليهم السلام عن هذه الآية: «**قل لا أسئلكم عليه أجرا إلاّ المودّة فى القربى**» قال:

«هى قرابتنا أهل البيت من محمّد صلى الله عليه وآله.»[3]

---

١. **الطبرسي، فضل بن الحسن**، «مجمع البيان في تفسير القرآن»، المصحح **هاشم رسولي محلّاتي**، ج ٩، ص ٤٤.

٢. سورة الشورى، الآية ٢٣.

٣. **الكوفي، فرات بن إبراهيم**، «تفسير فرات الكوفي»، طهران، مؤسّسة منشورات وزارة الإرشاد الإسلامي، الطبعة

عن الصّادق عليه السلام قال:

«إنّها نزلت فينا أهل البيت أصحاب الكساء.»[١]

وتؤكد الآية الكريمة بصراحة وتصر على وجوب المودة في أهل البيت عليهم السلام بوصفهم أجر الرسالة والوسيلة والحبل المتين لارتقاء المسلمين وبقائهم في حصن ولاية ذرية الرسالة المنيع.

ويذهب علماء الشيعة استنادا إلى الكثير من الأدلة والبراهين إلى أن المراد من «القربى» هم أهل البيت عليهم السلام، وأن أبرز مصاديقهم الإمام علي عليه السلام والسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام والإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام والأئمة التسعة من ذرية الإمام الحسين عليه السلام.[٢]

إن تاركي الأمر الإلهي والسماوي الواجب من جهة، وعدم الاكتراث بامر وطلب الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله الذي قال القرآن عنه: «**وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى * إِنْ هُوَ إِلّا وَحْيٌ يُوحى**»[٣] من جهة أخرى، وبالتالي اقتراف الظلم بحقهم بعد رحيل نبي الاسلام صلى الله عليه وآله، وفّر جميع أرضيات ومجالات الحرمان وقطع تواصل المسلمين مع الإمام الثاني عشر عجل الله تعالى فرجه الشريف وواقعة الغيبة.

وفي رواية، يتحدث الإمام علي عليه السلام عن وقائع الغيبة وحوادثها ويشبه الوقائع المتعلقة بهذا العصر، بالأحداث التي حصلت لقوم **النبي موسى** عليه السلام، ويقول ان حيرة المسلمين في زمن غيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ستكون أكثر وأصعب باضعاف من عصر تحير قوم النبي موسى عليه السلام. ومن ثم يقول:

«إنكم وبسبب الظلم الذى ستمارسونه ضد ذريتى، ستلاقون هذه

الأولى، ١٤١٠هـ .ق.، ص ٣٩٢.

١. **ابن شهر آشوب المازندراني، محمّد بن علي**، «مناقب آل أبى طالبb»، قم، علاّمة، الطبعة الأولى، ١٣٧٩هـ .ق.، ج ٤، ص ٣.

٢. ويكي شيعة نقلا عن **الطبرسي**، «مجمع‌البيان في تفسير القرآن»، بيروت، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٢٥هـ .ق.، ج ٩، ص ٤٨.

٣. سورة النجم، الآيتان ٣-٤.

المصاعب والشدائد.»[١]

إن اللعــن واللعنة في اللغــة، تعنيان الطرد والإبعاد من الخيــر والرحمة. وإن شــملت لعنة الله ولعنة رســوله صلى الله عليه وآله، الظالمين والمؤسسين والمسببين، وأي كان، فانه سيطرد ويبعد من الرحمة والخير.

إن أحد أركان «زيارة عاشوراء» التي هي زيارة وحديث قدسي، هو اللعنة على مؤسسي الظلم والجور على أهل البيت عليهم السلام.

«فلعن الله أمّة أسّست أساس الظّلم والجور عليكم أهل البيت»

وبالأحــرى، فانــه مع تأثير هذه اللعنة على إثر الظلــم الذي مورس ضد أهل البيت عليهم السلام طيلة سنوات ما بعد رحيل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، فان المسلمين حرموا تماما من **العيش مع الإمام** المعصوم عليه السلام وتعرضوا لســلطنة أئمة الظلم والجور. ومن هنا أقول، أن واقعة الغيبــة، لا تعود إلى عصر حضور وعهد صاحب الزمان عليه السلام بعد استشهاد الإمام الحســن العسكري عليه السلام، بل إلى عهد «السقيفة»، العهد الظالم الذي أســس فيه الظلم والجور ضد ذرية رســول الله صلى الله عليه وآله، وتوافرت مع استمراره، أرضية الاستشــهاد المتتالي لأبناء رسول الله صلى الله عليه وآله، إلى أن تراجعت شمس الإمامة واختفت عن الأنظار كليا.

عن سعيد عن **ابن عبّاس** أنّه مرّ بمجلس من مجالس قريش و هم يسبّون عليّ بن أبى طالب عليه السلام فقال لقائده: **ما يقول هؤلاء؟** قال: **يســبّون عليّا**. قال: **قرّبنى إليهم**.

فلمّا أن وقف عليهم قال: **أيّكم السّابّ الله؟**

قالوا: **سبحان الله و من يسبّ الله فقد أشرك بالله.**

قال: **فأيّكم السّابّ رسول الله صلى الله عليه وآله؟**

قالوا: **و من يسبّ رسول الله فقد كفر!**

قال: **فأيّكم السّابّ علىّ بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه؟**

---

١. **الكاظمي، مصطفى بن إبراهيم**، «بشارة الإسلام فى علامات المهدى عجل الله فرجه»، ص ٦٣.

قالوا: **قد كان ذلک.**

قال:

فأشهد بالله وأشهد لله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من سبّ عليّا فقد سبّنی و من سبّنی فقد سب الله عزّ وجل...»[1]

وبعد «السقيفة» وبعد استشهاد الإمام علي عليه السلام وبعد استشهاد أبناء علي وفاطمة عليها السلام الأحد عشر العظام، وبالتالي بعد الغيبة، فان المسلمين لم يروا وجه العدالة والأمن أبدا. فحلت عتمة بعد عتمة، ورعب بعد رعب، وطائفة بعد طائفة وتشرذم لا حدود له أدى إلى غلبة أعوان وأشياع إبليس على مجمل الحياة المادية والثقافية للمسلمين.

وعندما غادر حجة الله المتعال، الناس وغاب عنهم، بات الناس يعيشون حياتهم عن طريق الجهد والخطأ. ولا تتكشف لديهم الحقائق ويمضون أياهم ولياليهم على سكة عسى ولعل وليت، وينقضي شبابهم وتداهمهم الشيخوخة وهم يعيشون في ظل احتمال صحة العمل بالتكليف واحتمال قبول العبادات والطاعة واحتمال تمييز الحق عن الباطل وحتى أنهم يضيعون هلال الشهر.

قال أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام:

«... فإذا كان ذلک الزّمان انتفخت الأهلّة تارة حتّى يرى هلال ليلتين وخفيت تارة حتّى يفطر شهر رمضان فی أوّله و يصام العيد فی آخره...»[2]

الاستغناء عن الإمام

إن أحد أسباب وقوع ابتلاء الغيبة على الناس، هو تنبيههم وتنبههم عسى أن يعودوا عن الطريق غير القويم الذي يسلكوه.

---

١. **اربلي، علي بن عيسى**، «كشف **الغمّة فی معرفة الأئمّة**»، تبريز، الطبعة الأولى، ١٣٨١هـ .ق.، ج ١، ص ١٠٩؛ **ابن بابويه، محمّد بن علي**، «الأمالي»، طهران، الطبعة السادسة، ١٣٧٦هـ .ش.، ص ٩٧.

٢. **ميرجهاني طباطبائي، سيّد حسن**، «نوائب الدهور وعلائم الظهور»، ج ٢، صص ٢٢٥-٢٢٦؛ نقلا عن **المجلسي، محمّد باقر**، «بحار الأنوار»، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ .ق.، ج ٩٣، ص ٣٠٣.

وثمة مصطلح ديني بعنوان «الاستدراج». وأصل المفردة في اللغة مأخوذ من الدرج. وهو: الاقتراب من أمر أو مكان تدريجيا، وفي الاصطلاح: سنة من السنن الإلهية، ويراد به أن يعاقب الله عز وجل الطغاة والعصاة المتجرئين بالتدريج، فكلّما ازدادوا طغيانا زادهم نعما، حتى يؤدي بهم إلى الغرور، والغفلة عن العذاب، وبالتالي يكون عذابهم أشد.[١]

إن السنن الإلهية هي قوانين ثابتة، وأدق من القوانين المادية الموضوعة، وهذه السنن، تضفي معنى على جميع المناسبات والتطورات والتقلبات التي تحصل للشعوب والأمم في جميع الأزمنة وهي تسري وتجري دائما بمنأى عن قيد الزمان والمكان، على جميع الأمم وجميع الأوطان والأمصار.

إن هذه السنة، تسري في جميع المناسبات الفردية والاجتماعية ويمكن رؤيتها.

ووردت لفظة الاستدراج بمعنى الإملاء والإمهال أيضا. وجاء في «الآية ١٨٢ من سورة الأعراف»:

«والّذين كذّبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون، وأملى لهم إنّ كيدى متين»

إن هذه السنة التي تقع على سبيل التنبيه، تنطبق على المكذبين والمترفين.

ويقول الإمام علىّ بن أبي طالب عليه السلام:

«أيّها النّاس [ليراكم] ليركم الله من النّعمة وجلين كما يراكم من النّقمة فرقين إنّه من وسّع عليه فى ذات يده فلم ير ذلك استدراجا فقد أمن مخوفا...»[٢]

إن عبارة **«من حيث لا يعلمون»** في الآية الكريمة، تشير إلى أن المكذبين

---

١. الموسوعة الافتراضية لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، «ويكي شيعة»، التابعة للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، مفردة الاستدراج.

٢. **ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله**، «شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد»، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ .ق.، ج ١٩، ص ٢٧٥، حكمت ٣٦٤.

والمترفين، يتعرضون للضرر من الموقع الذي يروه آمنا وموثوقا به ومحصنا أو يعدونه خطأ، نعمة. إن الناس، يعتبرون أحيانا وعن طريق الخطأ، التمتع والإستقرار بانهما، نعمة ويعتبرون الشدة والعسر، بانهما نقمة، على سبيل المثال، فانه يسمح للمريض الذي انتهى أمره أو أن قطع الطبيب المعالج، الأمل عنه، أن يكف عن الإلتزام بنظام الحمية. والإنسان الذي يشرف على النهاية في الضلال ولا يعيقه أي أمر أو نهي عن سلوك الطريق غير القويم، فانه يصاب بالاستدراج، ويغرق في النعيم، وتداهمه الغفلة ويصبح جاهزا لتلقي العذاب الإلهي.

الغنى عن الإمام

إن الروايات، تعتبر أن أحد أسباب ابتلاء الناس بغيبة الإمام المعصوم وحجة الله عليه السلام يتمثل في التنبيه والتنبه. ويحصل في هذا الابتلاء، ضرب من الشعور بالغنى عن الإمام.

عن **ابن رئاب** عن بعض أصحابه قال:

سئل أبو عبد الله عليه السلام عن الاستدراج، فقال عليه السلام:

«هو العبد يذنب الذّنب فيملى له وتجدّد له عندها النّعم فتلهيه عن الاستغفار من الذّنوب فهو مستدرج من حيث لا يعلم.»[1]

وقد يشتد الشعور بغيبة الإمام في السنوات الأولى من الغيبة ويكون مضايقا، لكن ومع الوقت ومضي السنين، يحسب الناس أنهم تركوا وشأنهم، ويظنون على غرار «بني اسرائيل» انه وبدلا من طلب الصفح والاستغفار، أن يلتهوا بانفسهم حتى يحين فصل وصول الإمام، وأن ينظموا أمورهم من خلال الاعتماد على انطباعاتهم غير الوحيانية وعدم الرجوع إلى الحجة الإلهية.

وأليس أن الناس في أقاصي العالم يعتبرون في العصر الذي نعيشه، أن العلم الجديد ونتاجه أي التكنولوجيا، هو المفتاح الرئيسي لمعالجة كل المشاكل

١. **الكليني، محمّد بن يعقوب**، «الكافي»، ج ٢، ص ٤٥٢.

والمآزق؟

تخوف الإمام من القتل

ومنذ أن هبط آدم عليه السلام إلى الأرض كنبي وحجة الله، باشر إبليس وأشياعه اللعينين بمحاذاة ذلك، مهتمهم، ووضع يده بقصد القرصنة والتخريب – وكما كان قد أقسم في فجر الخلقة – على آدم وأوصيائه وأحفاده المصطفين من بين الأنبياء والرسل، وقام من خلال تحريض الجهلة والطواغيت، بالتصدي له، فقتلهم أو سممهم قدر ما استطاع، لذلك، فان المؤامرة ضد الأنبياء والأوصياء وخوفهم تحول إلى دفتر بحجم دفتر الرسالة ومهمتهم.

وعندما حان عصر آخر الرسل (النبي محمد صلى الله عليه وآله) وآخر كتاب (القرآن الكريم)، بذل **إبليس** قصارى جهده لإحباط أثر ومفعول قول وفعل رسول الله صلى الله عليه وآله.

وذكرت كتب السيرة والحديث أن رحيل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في سن الستين، حصل بسبب السم في «المدينة». ويقول **الشيخ الطوسي:**

... قبض بالمدينة مسموما يوم الإثنين لليلتين بقيتا من صفر سنة عشرة من الهجرة... .[1]

إن إبليس وجنوده، دبروا بعد ذلك المؤامرة تلو المؤامرة وسجلوا عمليات قتل واستشهاد مصممة في دفتر أحداث وأحوال المعصومين عليهم السلام.

عن **أيّوب بن نوح** قال: قلت لأبى الحسن الرّضا عليه السلام:

إنّى أرجو أن تكون صاحب هذا الأمر وأن يسوقه الله إليک بغير سيف فقد بويع لک وضربت الدّراهم باسمک. فقال عليه السلام:

«ما منّا أحد اختلفت إليه الكتب وأشير إليه بالأصابع وسئل عن المسائل وحملت إليه الأموال إلّا اغتيل أو مات على فراشه حتّى يبعث الله لهذا

---

١. **الطوسي، محمّد بن الحسن**، «تهذيب الأحكام»، دراسة خرسان، طهران، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ .ق.، ج ٦، ص ٢.

الأمر غلاما منّا – خفيّ الولادة والمنشإ غير خفيّ فى نسبه.»[1]

ويتضح أن استراتيجية إبليس وأشياعه وخطتهم تمثلت في تدمير وإبادة مسار وجميع علامات الهداية في الأرض والإنتقام من أبناء آدم عليه السلام ومعارضة الله المتعال الذي طرده إبليس من القرب الإلهي بسبب استكباره. ولذلك، فإن كان آخر وصي للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أي الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف يقتل أو يسمم، فان جميع علامات الهداية لكانت ستزول من على وجه الأرض.

إن أحد الأسباب المهمة لغيبة إمام الزمان عجل الله فرجه الشريف هو الحفاظ على روح الإمام. إن الله تعالى حفظ إمام الزمان عجل الله فرجه الشريف من القتل بواسطة الغيبة.[2]

عن زرارة قال: سمعت أبا عبد الله جعفر عليه السلام يقول:

«إنّ للقائم عجل الله فرجه الشريف غيبة قبل أن يقوم.»

قلت: **ولم ذلک؟** قال عليه السلام:

«إنّه يخاف.»

و أومأ بيده إلى بطنه يعنى القتل.[3]

وحسب الرواية:

«لو خلت الأرض طرفة عين من حجّة لساخت بأهلها.»[4]

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«النّجوم أمان لأهل السّماء إذا ذهبت النّجوم ذهبوا وأهل بيتى أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتى ذهب أهل الأرض.»[5]

---

١. **الكليني، محمّد بن يعقوب**، «الكافي»، ج ١، ص٣٤١.

٢. **ابن أبي زينب، محمّد بن إبراهيم**، «الغيبة للنعماني»، ص١٦٦.

٣. **ابن أبي زينب، محمّد بن ابراهيم**، «الغيبة للنعماني»، ص ١٧٧.)

٤. **ابن بابويه، محمّد بن علي**، «عيون أخبار الرّضا عليه السلام»، طهران، الطبعة الأولى، ١٣٧٨هـ .ق.، ج ١، ص ٢٧٢.

٥. **ابن بطريق، يحيى بن حسن**، «عمدة عيون صحاح الأخبار فى مناقب إمام الأبرار»، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ .ق.، ص ٣٠٨؛ نقلا عن «فضائل الصّحابة أحمد بن حنبل»، ج ٢، ص ٦٧١، ح ١١٤٥.

الاعتياد على العيش بلا إمام وغياب جهوزية الناس

ويتعين للأسف اعتبار فقدان وغياب الجهوزية اللازمة لدى الناس لمواكبة الإمام عليه السلام وتأدية حق **العهد والبيعة** مع الإمام عليه السلام وإطلاق يد الإمام في اعمال الولاية وإعادة الحق ليستقر في مداره الرئيسي والحقيقي، بانه أحد أهم العقبات والعوامل المؤثرة في غيبة الإمام.

وفي العصر الذي نعيشه، فان أبرز علامات تكريم يوم نصف شعبان، هو امتلاء الأحياء والأزقة والشوارع ببقايا الأواني المخصصة للاستعمال مرة واحدة والكؤوس البلاستيكية والحلوى وأيضا قضاء هذا اليوم المقدس في الغفلة وعدم المعرفة بضرورة **اكتساب المعرفة** حول الإمام عليه السلام و**الجهوزية لاستقباله وتجديد العهد معه.**

وبما أن الغيبة طال أمدها واعتاد الناس على **العيش بلا إمام** وطبعا في ضوء تواطؤ الشيطان، فان **ضرورة حضور حجة الله الحي** بين الناس، قد نسيها الناس كما تم تناسي **ترتيب وتنظيم جميع المناسبات والتعاملات الفردية والجماعية** بما يتطابق مع رؤية حجة الله، وتم إغفال ضرورة **الدخول في الحصين المنيع لولاية الإمام المعصوم** عليه السلام للبقاء في مأمن من تبعات وتداعيات الحياة القذرة و**الجزاء الأخروي** للأعمال. وظن الناس أنهم تركوا وشأنهم، واعتبروا أنفسهم ورجالا من أمثالهم، يستأهلون الإمارة والخلافة والوكالة رغم ابتعادهم عن العلم والعصمة وإذن الله، ولجأوا إلى الحجج غير الإلهيين وارتضوا باستدامة حبس حجة الله في سجن الغيبة.

إن الشيعة، مثلهم مثل سائر شعوب شرق الأرض وغربها، باتوا يجارون الزمان وأصبحوا جزء منه. وارتضوا بالفرح والحداد في فرح أهل البيت عليهم السلام وحزنهم، ونظموا مناسباتهم وتعاملاتهم الصغيرة والكبيرة تأسيسا على القواعد والانطباعات غير الإلهية والمشركة واكتفوا بالنذر والاستغاثة والزيارة العارية من المعرفة. وقد نسي هؤلاء كل ما أدى إلى حدوث واقعة الغيبة، ولا يضعون تكليفا وواجبا على

عاتقهم للتمهيد لواقعة الظهور الشـــريفة. ويمنون النفس بانتظار منفعل وحتى أنهم لا يخطون خطوة إلى الأمام للتواصل مع حجة الله.

عـــن أبى جعفر محمّد بن علىّ الباقر عليه السلام فى قوله عزّ وجلّ: «**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا...**»[1] فقالک

«**اصبروا على أداء الفرائض وصابروا عدوّكم ورابطوا إمامكم المنتظر.**»[2]

وكيـــف يجب إقامة هذا التواصل والمرابطة، وماذا يجب فعله لإعداد أنفســـنا والاخرين للإنضمام إلى الإمام، هو موضوع اخر ســـنتطرق إليه في الفصول التالية باذن الله تعالى.

---

١. سورة آل عمران، الآية ٢٠٠.

٢. **ابن أبي زينب، محمّد بن ابراهيم**، «الغيبة للنعماني»، ص ١٩٩.

حكمة وجود الحجة في الأرض

إن إحدى حكم وجود وحياة حجة الله في الأرض في أي عصر وزمان، يكمن في الحفاظ على الحبل الذي يمسك بالأرض والسماء، وورد في رواية:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إنّ الله (عـّز وجـلّ) نصب عليّـا علما بينه وبين خلقـه، فمن عرفه كان مؤمنا، ومن أنكره كان كافرا، ومن جهله كان ضالّا، ومن عدل بينه وبين غيره كان مشـركا، ومن جاء بولايته دخل الجنّة، ومن جاء بعداوته دخل النّار.»[1]

إن تقديـم المعصومين عليهم السلام من ذرية رسـول الله صلى الله عليه وآله وتنصيبهم، هو من جعل الله المتعال، وهذا المعنى ينسـحب على جميعهم ويأتـي ضمن حقيقتهم وأمر وجودهم.

«شـهداء علـى خلقه وأعلامـا لعبـاده ومنارا فـى بـلاده وأدلّاء على صراطه...»[2]

إنهـم بمنزلة المنار المضئ الذي يرشـد كل تائه ضل طريقه في عرض البحر

---

١. **الطوسي، محمّد بن الحسن**، «الأمالي»، قم، دار الثّقافة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ .ق.، ص ٤٨٧.

٢. **ابـن بابويـه، محمّد بن علـي**، «من لا يحضره الفقيه»، ج ٢، ص ٦١١، «الزيـارة الجامعة الكبيرة» نقلا عن الإمام الهادي عليه السلام.

الهائج ومتلاطم الأمواج إلى بر الأمان.

ف**العلم** هو الراية وســـر استدامة الحياة وإقامة المخيم والمعسكر، و**حامل الراية** هو المعلن والمرشـــد والدليل الذي يثلج صدور الجيش ويرشـــدهم عندما يحتدم القتال ويستعر ميدان الحرب.

فكيف يمكن أن يتخلى الله الرحمن الرحيم، عن عباده وهم في وســـط جبهة واســـعة فتحها ابليس وجنوده يترصدونهم من خلالها ليقضوا عليهم ويبدونهم عن بكرة أبيهم؟!

وفـــي أي زمان، ثمة رجال يدعون للحق من بين العباد، يخفق طائر روحهم، جناحيه في عش الهداية الآمن، لذلك فان الإستجابة لهؤلاء الطالبين، هو حقهم وإرادة الله المتعال، إذ أن هذا يحصل بواســـطة وسيلة الفيض، أي الأئمة، بحيث ورد في زيارة «أمين الله»:

«وَ أَعْلاَمَ الْقَاصِدِينَ إِلَيْکَ وَاضِحَةٌ»

إن عبارات مثل «أعلام التّقى»[١] و «أعلام الهدى»[٢] و«أعلام الدّين»[٣] وردت كلها في وصف هذه الأعلام العالية الخفاقة الإلهية.

ف**المنارة** في العمارة الإســـلامية الإيرانية، هي عمود وضاء يجتذب كل باحث عن المسجد والمعبد نحوه، ولذلك، فان أي عمارة ومبنى في نظام تشييد المدن القائم على الانطباعات الدينية، لا يجب أن يعلو قبة المســـجد ومئذنته. إن هذه المنـــارة والقبة، تضفيان روحـــا ومعنى على المدينة الإســـلامية، وتمنحهما هوية وتربطان سائر أجزاء المدينة بعضها بعضا وتجعلان جميع سكان المدينة يتحلقون حول هذا المسجد ويهرهون إليه، ليؤدوا عبادتهم وعبوديتهم لله، لان المسجد هو الصورة المادية لحجة الله والإمام المبين في الأرض.

---

١. **ابن بابويه، محمّد بن علي**، «من لا يحضره الفقيه»، ج ٢، ص ٦١٠.

٢. **الطوسي، محمّد بن الحسن**، «تهذيب الأحكام»، دراسة خرسان، ج ٦، ص ٢.

٣. قال الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام: «**هم أزمّة الحقّ وأعلام الدّين**.» **الشـــريف الرضي، محمّد بن حســـين**، «نهج‌البلاغة صبحي صالح»، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ .ق.، ص١٢٠، الخطبة ٨٧.

وقد عرّف أهل البيت عليهم السلام استنادا إلى كلام رسول الله صلى الله عليه وآله أنفسهم بـ«منار الهدى»[١] أو «منار الإيمان».[٢]

قال رسول الله صلى الله عليه وآله مخاطبا الإمام **علىّ بن أبى طالب** عليه السلام:

«إنّه راية الهدى ومنار الإيمان...»[٢]

وبعد الأحداث التي تلت رحيل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، نهض **أبي بن كعب** بين المهاجرين والأنصار مستندا إلى أحاديث النبي صلى الله عليه وآله فقال:

ألستم تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«أهل بيتى منار الهدى والدّالّون على الله...»[٣]

وفي ضوء هذا، يجب القول:

وقد سعت المصادر الروائية وبعدها الكتاب والباحثون في مجال الثقافة المهدوية، وردا على سؤال المستفسرين عن فائدة الإمام الغائب عن الأنظار، سعوا لتبيان بعض التشبيهات والكنايات كمقدمة لإثرائها.

وربما كان **جابر بن عبد الله الأنصاري** من أوائل المستفسرين في هذا الخصوص، فقد سأل رسول الله صلى الله عليه وآله:

يا رسول الله فهل يقع لشيعته الانتفاع به فى غيبته؟

فقال صلى الله عليه وآله:

«إى والّذى بعثنى بالنّبوّة إنّهم يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته فى غيبته كانتفاع النّاس بالشّمس وإن تجلّلها سحاب يا جابر هذا من مكنون سرّ الله ومخزون علمه فاكتمه إلّا عن أهله.»[٤]

---

١. قال الإمام الباقر عليه السلام: «**نحن منار الهدى**.» (**ابن بابويه، محمّد بن علي**، «كمال‌الدّين وتمام‌النّعمه»، طهران، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ .ق.، ج ١، ص ٢٠٦.)

٢. «**يا علىّ أنت أصل الدّين ومنار الإيمان.**» (**الصفار، محمّد بن الحسن**، «بصائر الدرجات في فضائل آل محمّد صلى الله عليه وآله»، قم، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ .ق.، ج ١، ص ٣١.)

٣. **الطبرسي، أحمد بن علي**، «الإحتجاج على أهل اللجاج»، مشهد، مرتضى للنشر، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ .ق.، ج ١، ص ١١٣.

٤. **ابن بابويه، محمّد بن علي**، «كمال الدّين و تمام النعمه»، ج ١، ص ٢٥٣.

وقد استفاد أئمة الهدى عليهم السلام من هذا التشبيه في تبيان كيفية الانتفاع بهم.

قال **سليمان بن أعمش:**

قلت للإمام الصّادق عليه السلام: **فكيف ينتفع النّاس بالحجّة الغائب المستور؟**

قال عليه السلام:

«كما ينتفعون بالشّمس إذا سترها السّحاب.»[١]

وحتى أن هذا الوصف قدم في التوقيع المبارك الصادر عن إمام الزمان عجل الله فرجه الشريف **لاسحاق بن يعقوب:**

«و أمّا وجه الانتفاع بى فى غيبتى فكالانتفاع بالشّمس إذا غيّبتها عن الأبصار السّحاب.»[٢]

وفي العصر اللاحق، عمل الكتاب والباحثون في إطار فك الرمز على وصف الشمس وانتفاع الناس منها، في خطوة لتقريب الأذهان إلى كيفية انتفاع عباد الله المتعال من الإمام الغائب.

وكل هذا صحيح في محله، ومثلما أن آيات «القرآن» والمضامين الواردة فيها والسور، كالعروس التي لا ترى من اللائق إظهار وجهها للغير سوى من هم محرم لها، فضلا عن أن هذه الآيات والسور أخفت الحقائق أحيانا تحت سبعين ستارة وبطنا. والكلام التالي للقرآن، أي ائمة الهدى عليهم السلام وأوامرهم ونواهيهم وحتى تطورات أحوالهم، تنطوي على بطون مختلفة تصل أحيانا إلى سبعين بطنا لا يقدر سوى «**الراسخون فى العلم**»[٣] على كشفها وإماطة اللثام عنها.

وقد أشارت أحاديث كثيرة إلى ظاهر القرآن وباطنه وثمة حديث يقول:

«إن للقرآن ظهرا وبطنا.»[٤]

---

١. **ابن بابويه، محمّد بن علي**، «كمال الدّين وتمام النعمة»، ج ١، ص ٢٠٧.

٢. المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٨٥.

٣. إشارة إلى «الآية ٧ من سورة آل عمران» إذ يقول الله تعالى فيها: «**وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**»

٤. **ابن أبي الجمهور، محمّد بن زين الدّين**، «عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية»، قم، دار سيّد الشّهداء للنشر، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ .ق.، ج ٤، ص ١٠٧.

إن كاشف بطون الآيات ليس سوى محرم «القرآن» الإمام المعصوم عليه السلام.

وربما يمكن في ظل الاستعانة بالكلمات النورانية لأئمة الهدى عليهم السلام فهم بعض الحكم المتعلقة بابقاء آخر حجة خلف ستار الغيبة الحق لسنوات مديدة، وبالتالي فك رموز بعض المضامين باذن الله.

ونتطرق في هذه المساحة الصغيرة إلى بعض الحكم القابلة للإشارة في هذا الخصوص:

١. وكما أسلفنا، فان الإمام المعصوم والمنصب من حضرة الحق جل وعلا، هو بمنزلة **علم الهداية ومنار الإيمان** والدال على الله تعالى، وأن كلا من المقامات والشؤون المتوافرة والمطروحة لدى الإمام عليه السلام، معين وهاد ومساعد لجميع الباحثين عن الهداية والحقيقة إلى قيام القيامة الكبرى، أكان هذا السائل والباحث يعيش في القرن الأول الهجري أو القرن الثامن والعاشر والخامس عشر.

فكيف يمكن قبل انتهاء سلسلة تكاثر وتوالد الخلق ووقوع القيامة، انقطاع دور أعلام الهداية ومنارات الإيمان عن وجه البسيطة؟

عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«ما زالت الأرض إلّا ولله فيها الحجّة يعرّف الحلال والحرام ويدعو النّاس إلى سبيل الله.»[١]

وقال في موقع آخر:

«لو كان النّاس رجلين لكان أحدهما الإمام.»

و قال عليه السلام:

«إنّ آخر من يموت الإمام لئلّا يحتجّ أحد على الله عزّ و جلّ أنّه تركه بغير حجّة للّه عليه.»[٢]

إنه بعيد عن كرم الله وفضله ورحمته الواسعة أن يفعل كذلك. وإن شمر نفر

١. **الكليني، محمّد بن يعقوب**، «الكافي»، ج ١، ص ١٧٨.
٢. المصدر السابق،، ج ١، ص ١٨٠.

كثير من الناس عن ساعديهم من منطلق الكفر بالنعمة أو المرض في قلوبهم، لكسر أغصان شجرة الإيمان. وعليه فان بقاء ودوام هذه الأعلام والمنارات، اضطلعا بدوره في الوجود وأسهما في ديمومة حياة الباحثين عن الحقيقة الأصيلة، حتى وإن لا يعرف أحد شيئا عن كيفية هذه الواقعة وتحققها على أرض الواقع.

إن الانتفاع من نور وضياء حضرته وولايته، ومثلما قال رسول الله صلى الله عليه وآله ينطوي على جميع المراتب العديدة للنور والولاية وهذه المراتب (بدء من النور الفيزيائي وصولا إلى أقصى مرتبة النور) بقيت خافية عن أعين الأغيار، وستبقى خافية بعد الان كذلك.

٢. وقد مرّت حقبة ملفتة من عهد إمامة الإمامين العاشر والحادي عشر عليهما السلام في «سامراء». وبدأت الغيبة الصغرى وبعدها الغيبة الكبرى من هناك أيضا وهي مستمرة إلى عصرنا هذا. ومثلما أن فقدان أهلية واستحقاق الوجود والعيش مع الإمام وحجة الله عليه السلام لا يقتصر على سكان سامراء و«بغداد» و«النجف» و«البصرة»، بل أن سكان سائر المناطق لا بل جزء كبير من الأرض، لم يكونوا يحظون بهذه الأهلية في تلك الحقبة من الزمن، وكان في ذلك العصر وما بعده، على مرّ العصور، كثير من الناس ممن عقدوا الأمل على رحمة الله والبقاء بمنأى عن التعاسة وتجربة الحياة الطيبة في هذه الدنيا والعالم الآخر، فمدوا يد الحاجة إلى الإمام، وإن خلف ستار الغيبة، لذلك كان ضروريا أن يمسح الإمام وإن من وراء ستار الغيبة، يد عطفه وظلال ولايته على رؤوس من يستحقون ذلك.

وفضلا عن ذلك، فانه إن تمت معرفة رحمة الله في ساحتي **الرحمة العامة** و**الرحمة الخاصة**، لكان من الضروري أن تبقى ظلال الرحمة العامة من قبل الإمام وبإذن الله على رؤوس جميع الكائنات الجالسن على مائدة رزق الله، وألا تنفصل وتتحطم سلسلة الوجود والحياة.

٣. وقد وردت في التعاليم والمعارف الحقة لأهل البيت عليهم السلام شؤون كثيرة

للإمام المعصوم بما فيها **بيمنه رزق الورى**[١] **والسّراج الزّاهر والنّور السّاطع**[٢] **و[الأئمّة] الكهف الحصين للمؤمنين**[٣] **والنّجوم أمان لأهل السّماء وأهل بيتى أمان لأهل الأرض**[٤] **والسّلام على ربيع الأنام و نضرة الأيّام**[٥]

وما عدا الإنس، فان هناك ألوف الأصناف من الكائنات الظاهرة والخفية عن أعيننا تعيش في ألوف العوالم وهي تستعين بائمة الهدى عليهم السلام. وإن حكّمنا العقل، كيف يمكن القبول بان الله تعالى قد تخلى عن كل هذه الكائنات الفقيرة والمستأهلة وأن يدع حجته يستشهد على يد شقي آخر من الأشقياء؟ لذلك فان غيبة الإمام توفر إمكانية أن يبقى عليه السلام في أمان من أي تعرض، وأن تتدخل سائر المقامات والشؤون المتعلقة بعامة الكائنات ومخلوقات الله، لتنتفع كلها من الفيض الوجودي للإمام المعصوم عليه السلام.

٤. وورد في كيفية المجاهدة الميدانية للإمام علي عليه السلام بانه كان قبل أن يضرب رقبة كافر بالسيف، يرى حتى سبعين جيلا من الذرية المستقبلية لذلك الكافر، وكان يغض الطرف عن دم ذلك الكافر صونا لمؤمن كان سيبصر النور في مستقبل بعيد من صلب ذلك الكافر.

إن استشهاد آخر ذخيرة إلهية وبالتالي دمار الأرض وابتلاع أهلها، لما كان يوفر إمكانية ولادة أجيال المؤمنين الذين كانوا في صلب كافر ومؤمن عاصر الإمام عليه السلام على قيد الحياة. لذلك فان الله سبحانه وتعالى، قد وفر من خلال إرسال تلك الحجة الأخيرة وإضفاء الحصانة عليها عن طريق التستر وكتمان الغيبة، إمكانية ولادة وخروج نطفة وجيل مؤمني الأعصار والقرون اللاحقة، وهذا يعد بحد ذاته ضربا من انتفاع المؤمنين من الشمس التي تختفي وراء ستار الغيبة.

---

١. **المجلسي، محمّد باقر**، «زاد المعاد»، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ .ق.، ص ٤٢٣، دعاء العديلة.
٢. عن الإمام الرضا عليه السلام في وصف مقام الإمام. **الكليني، محمّد بن يعقوب**، «الكافي»، ج ١، ص ٢٠٠.
٣. عن الإمام الباقر عليه السلام في وصف ائمّة الهدى عليهم السلام، **المجلسي، محمّد باقر**، «بحار الأنوار»، ج ٢٦، ص ٢٥٥.
٤. عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «كفاية الأثر في النصّ على الأئمة الإثني عشر»، قم، ١٤٠١هـ .ق.، ص ٢١٠.
٥. ونقرأ في الزيارة متوجهين إلى إمام العصر عجل الله فرجه الشريف: **المجلسي، محمّد باقر**، «بحار الأنوار»، ج ٩٩، ص ١٠١.

وجاء في رواية بديعة في شرح حكم غيبة إمام العصر عجل الله فرجه الشريف:

عن إبراهيم الكرخيّ قال:

قلت لأبي عبد الله عليه السلام وقال له رجل: **أصلحك الله أ لم يكن عليّ عليه السلام قويّا في دين الله عزّ وجلّ؟** قال عليه السلام: «**بلى.**» قال: **فكيف ظهر عليه القوم وكيف لم يدفعهم وما يمنعه من ذلك؟** قال عليه السلام:

«آية في كتاب الله عزّ وجلّ منعته... قوله عزّ وجلّ: «لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا»[1] إنّه كان لله عزّ وجلّ ودائع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين ومنافقين فلم يكن عليّ عليه السلام ليقتل الآباء حتّى يخرج الودائع فلمّا خرجت الودائع ظهر على من ظهر فقاتله وكذلك قائمنا أهل البيت لن يظهر أبدا حتّى تظهر ودائع الله عزّ وجلّ فإذا ظهرت ظهر على من يظهر فقتله.»[2]

٥. إن الحديث عن خلق العالم وآدم عليه السلام وبالتالي تعاقب الأجيال في الأرض وإرسال الأنبياء وإنزال الكتب السماوية، يرتبط برباط خاص بحكمة برء الكون والوجود وإرادة الله في جعل خليفة وتأسيس الملك الإلهي العظيم مع ظهور آخر وصي رسول الله صلى الله عليه وآله.

إن تحقق كل هذا وإعداد التحضيرات اللازمة له، وحفظ وحراسة وتنظيم وتوجيه المؤمنين في هذا الطريق الخاص وإحباط عمل الشيطان في تدمير هذه التحضيرات، غير ممكن من دون حضور ولي الله الأعظم عجل الله فرجه الشريف وصاحب الاختيار التام في شؤون جميع الكائنات. وعليه يمكن القول: أن أحد مصاديق انتفاع الناس من وجود الإمام و**إعمال ولايته**، يمكن تحديده في إطار هذا المعنى. إن المقدمات اللازمة لتأسيس هذا الملك العظيم الذي تغطي رقعته وسيطرته، مجمل الأرض والسماء، لا يحصل على حين غرة، بل أن جميع الشؤون تقع أساسا وفقا

---

١. سورة الفتح، الآية ٢٥.

٢. **ابن بابويه، محمّد بن علي**، «كمال‌الدّين وتمام النّعمة»، ج ٢، ص ٦٤١.

للسنة والحكمة الإلهية وعن طريق الأسباب والوسائل الطبيعية.

٦. إن الإمام في الفكر الولائي الشيعي هو مظهر **اسم الله الجامع**، وحائز على مقام خليفة الله ومدبر أمور الخلق جليا وخفيا في جميع عوالم الأرض والسماء، ويتم تنظيم جميع شؤون الكائنات من البداية وحتى النهاية على يده بإذن الله. والان يجب التساؤل، كيف يمكن أن يجيز الله تعالى تقييد صلاحية خليفته بالحق في الكون والوجود، وفي الوقت ذاته ديمومة حياة وعيش الكائنات في العالم، بينما لم يحن بعد موعد القيامة الكبرى؟ وهذا يشبه أن نقوم باقتلاع شجرة من جذورها ونتوقع أن تواصل الشجرة وأغصانها وأوراقها الحياة. إن نضارة وحياة أغصان الشجرة وأوراقها وإثمارها، يرتبط بشكل مباشر بجذورها.

إن الإمام هو **الركن الركين** ومبادئ وأسس حياة ما سوى الله في العالم، ومن دونه، ينقطع جذر وأساس جميع الكائنات.

وطالما لا تتضح منزلة الإمام في الكون وشؤونه ومقاماته في ظل الانطباعات العامة والولائية، فانه لن يتضح سر ديمومة الحياة وضرورة ديمومة حياته.

إن غيبة جسم الإمام وبقائه خافيا على أعين الناس، لا يحول دون تطبيق أي من واجبات الإمام وتحقق شؤونه حول جل خلق العالم، إلا إذا كان الإمام معذورا في الخلافة الظاهرة على الناس وممارسة الولاية عليهم، كخليفة وأمير وإمام، وأن الناس هم السبب في حرمانهم من هذا؛ وإلا طالما بقيت الأرض والسماء ولم تقم القيامة الكبرى، فانه سيبقى الخليفة والقائم مقام وصاحب الولاية المطلقة في الكون. وبعد ذلك وفي ضوء إقامة الميزان وفتح أبواب الجنة والجحيم، فان الانسان الكامل وولي الله على الإطلاق هو عامل الإتصال بالذات الالهية ووسيط فيض المحشورين في القيامة والشاهد والمشهود والحاكم والقاضي باذن الله.

٧. وطالما لم ينته الأجل المحدد والمقدر لحياة إبليس اللعين وجنوده، أي **الوقت المعلوم**، فانه سينهمك بكل ما أوتي من قوة في إغواء أبناء آدم وتضليلهم.

وقال الإمام الرضا عليه السلام:

«... يوم الوقت المعلوم وهو يوم خروج قائمنا»[١]

ويقول **اسحاق بن عمار** إنه سأل الإمام الصادق عليه السلام:

أن يقول الله تعالى مخاطبا الشيطان: «قالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ»[٢] الوقت المعلوم يوم قيام القائم فإذا بعثه الله كان في «مسجد الكوفة» وجاء إبليس حتّى يجثو على ركبتيه فيقول يا ويلاه من هذا اليوم فيأخذ بناصيته فيضرب عنقه فذلك يوم الوقت المعلوم منتهى أجله.»[٣]

إن منح المؤمنين والشيعة الحصانة في الحصن المنيع وبعثرة وصد جنود إبليس وتقييد أيديهم في التعرض لأرواح وأجساد المستضعفين وإحباط مفعول الكثير من مخططات وقرارات أعداء الإنسان والأديان، كله يتم على يد ولي الله الأعظم عجل الله فرجه حتى إن لم يعلم أحد بذلك.

امام المتّقين، علىّ بن ابى‌طالب عليه السلام با اشاره به يكى از اقدامات

ويقول الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام في إشارة إلى أحد إجراءات إمام الزمان عجل الله فرجه في عصر الغيبة:

«ألا وإنّ من أدركها منّا يسرى فيها بسراج منير ويحذو فيها على مثال الصّالحين ليحلّ فيها ربقا ويعتق فيها رقّا ويصدع شعبا ويشعب صدعا.»[٤]

ويظن البسطاء أن تحقق الحالات السبع آنفة الذكر وعشرات الحالات الأخرى التي لا نعرف عنها شيئا، ووردت في واجبات وعهدة ولي العصر عجل الله فرجه ورجاله الشهيرين، رهن بوجوده المادي والجلي بين الناس. فالأمر ليس كذلك. فمن نقص العقل أن نظن أن ذلك الإمام المبين، يتكئ على عصا ويجلس في زاوية عاطلا وينتظر لحظة الظهور وإذن القيام.

---

١. **ابن بابويه، محمّد بن علي**، «كمال الدين وتمام النعمة»، ج ٢، ص ٣٧١.
٢. سورة ص، الآيتان ٨٠-٨١؛ سورة الحجر، الآيتان ٣٧-٣٨.
٣. **العيّاشي، محمّد بن مسعود**، «تفسير العيّاشي»، طهران، الطبعة الأولى، ١٣٨٠هـ .ق.، ج ٢، ص ٢٤٢.
٤. «شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد»، ج ٩، ص ١٢٦، الخطبة ١٥٠.

إن التدبـــر والإدارة والهدايـــة والعناية ومنح الحصانـــة والمراقبة والإرتقاء و... لجميع الكائنات المقيمة في جميع العوالم بمن فيهم سكان الأرض، رهن بتأسيس جهاز عظيم تحت إشراف وإدارة ولي الله الأعظم عجل الله فرجه الشريف، وبالتحديد في عصر الغيبة وما بعده عصر الظهور، إن هذا الجهاز العظيم وفي ظل توافر الإمكانات و**إطلاق يد الإمام** سيتولى تأسيسه وعمارته وقيام الدولة الكريمة العالمية. إن شاء الله.

وفي إطار دراســة حكم وقــوع غيبة ولي الله وحجته وبقــاء الناس بعيدا عن نعمة حضوره، فان موضوع **حصانة الإمام وبقائه** خلف ســتار الغيبة، يكتسي أهمية خاصة.

جدير ذكــره أن الظروف التاريخية التي مرت على الأولياء والأنبياء الســلف تختلف اختلافا هائلا عن كل ما ســيقع في عصر وزمان حضور وغيبة آخر حجة الله في الأرض.

وكان الأمل والوعد بمجئ الحجة اللاحق قائمين في جميع العصور التي مرت علــى الأنبياء والأوصياء الســابقين، وأن الأخبار المتعلقــة بالحجة التالي (أكان الرســول أو الإمام) قد وضعت بتصرف الأنبياء. لكنه كان واضحا وجليا بالنســبة لرســول الله صلى الله عليه وآله وأئمة الهدى عليهم السلام أن صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف سيكون آخر حجة في الأرض وآخر وصي وإمام معصوم ومنصب، الإمام الذي سيكون في وقت الظهور **صاحب الإذن** بابادة جميع الطواغيب والأشــقياء والمعاندين وعلى رأســهم **إبليس** اللعين وأشياعه.

وتفيــد الأخبــار الواردة، إنه في وقــت ظهور الإمام عجل الله فرجه الشريف فــان أبناء المؤمنين يخرجــون من صلب الآباء وتتاح لهم إمكانية الحياة في الأرض، ويحســم الأمر للجميع. إن الأنبياء والأوصياء الســابقين وبسبب الظروف التاريخية الخاصة التي مــروا بها، اضطروا أحيانا لاتبــاع التقية وحتى إبراهم معاهدة ســلام مع الحكام الظالميــن في عصرهم أو اللجوء إلى الصمــت تجاههم مثلما أن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام انخرط مضطرا للبيعة مع الخليفة المنصب لنفســه واضطر الإمام

الحسن المجتبى عليه السلام لإبرام معاهدة سلام مع **معاوية** و... .

لقد كان ستار الغيبة، غطاء وحصنا منيعا يصون الإمام من البيعة مع الجائرين، وألا تبقى في عنقه ذمة أي طاغوت وظالم.

وقدوصف الامام علي أمير المؤمنين عليه السلام هذا الموقع بقوله:

«إنّ القائم منّا إذا قام لم يكن لأحد فى عنقه بيعة فلذلک تخفى ولادته ويغيب شخصه.»[١]

ويقدم بعض الباحثين والدعاة عن طريق الخطأ أو بسبب عدم المعرفة، خط مسار ظهور وقيام وتأسيس الدولة الكريمة للإمام بانه مشحون بالضرب والسيف تارة، أو متلازما مع السلام والعطف واللين تارة أخرى. إن كلا المسارين ونوعية وكمية فعل الإمام وتعاطيه مع المؤمن والكافر حسب وصف البعض لهما، غير صحيحين.

إن الإمام عليه السلام يتعامل مع العدل والقسط وفقا لسيرة وسنة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وبطريقة «**أَشِدّاءُ عَلَى الكُفّارِ رُحَماءُ بَينَهُم**»[٢] لكن فيما يخص قضية **رفع العقبات التي تعترض الظهور والتمهيد للواقعة وتأسيس الدولة الكريمة**، فانها تتم عن طريق السنن الجارية في الكون والعمل والجهد، ومن أجل إبادة الأعداء الشريرين من الجن والإنس، لا بد له من القتال، وإلا فان بقايا هؤلاء الأشرار سينصبون سدا كبيرا أمام الإمام والمؤمنين والمجاهدين المواكبين له، ويحولون دون تحقق الإرادة الالهية في تأسيس الملك العظيم والتحقق الخارجي لحكمة الخلق.

وثمة أحاديث عديدة حول الظهور، تشير إلى المراحل العصيبة التي يمر بها الإمام وأنصاره، العقبات والمراحل التي يتم تذليلها في ظل مجاهدة الإمام وأنصاره.

وعن **موسى بن بكر الواسطيّ** عن **بشير النّبّال** قال:

---

١. **ابن بابويه، محمّد بن علي**، «كمال الدين وتمام النعمة»، ج ١، ص ٣٠٣.
٢. سورة الفتح، الآية ٢٩.

قدمت «المدينة»... لمّا قدمت المدينة قلت لأبى جعفر عليه السلام:

إنّهم [المرجئه][1] يقولون إنّ المهدىّ لو قام لاستقامت له الأمور عفوا ولا يهريق محجمة دم.

فقال عليه السلام:

«كلّا والّذى نفسى بيده لو استقامت لأحد عفوا لاستقامت لرسول الله صلى الله عليه وآله حين أدميت رباعيته وشجّ فى وجهه كلّا والّذى نفسى بيده حتّى نمسح نحن وأنتم العرق والعلق.»

ثمّ مسح جبهته.[2]

وبعد قرون من الصبر والتريث، ومع إتمام الحجة على الخلق وفي العصر الذي تتجلى فيه إرادة الله لتأسيس دولة الحق، فلن يكون هناك مجال لمجاراة الكفار الذي ينكرون حجة الله.

عن **سعد بن محمّد** عن **عيسى الخشّاب** قال:

قلت للحسين بن علىّ عليه السلام: **أنت صاحب هذا الأمر؟** قال:

«لا ولكن صاحب الأمر الطّريد الشّريد الموتور بأبيه المكنّى بعمّه يضع سيفه على عاتقه ثمانية أشهر.»[3]

وبعد الظهور وصدور الإذن بالقيام من قبل الله تعالى، ومع كسر شوكة

---

١. **المرجئه هم فرقة ظهرت في نهاية النصف الأول من القرن الأول الهجري. وتأتي المرجئة من المرجئ، أي أنهم لا يعتبرون من يرتكب الكبيرة، مخلدا في نار جهنم، بل يوكلون أمره إلى الله ولهذا السبب سموا بالمرجئة.**

وظهرت المرجئة بعد الخوارج وكان سؤالهم الرئيسي والأولي هو: هل إن مرتكب الكبيرة سيكون مخلدا في نار جهنم أم لا. وجرى الحديث عقب هذا السؤال عن حدود الإيمان ومن هو المؤمن. وكانوا يقولون بان الإيمان مقدم على القول باللسان والقول باللسان مقدم على العمل، ومن لا يملك عملا لكنه يملك إيمانا، سينال الفلاح. وتحولت عقيدة المرجئة إلى مأوى وملاذ للأمويين الذين لم يتوانوا عن ارتكاب الكبائر في السرّ والعلن. وقيل أن المرجئة كانوا يقولون أن الحكم على مرتكبي الكبائر موكول إلى الله. ولم يعتبروا هؤلاء مخلدين في النار وهم استندوا في اعتقادهم إلى قوله تعالى: «وآخرون مرجون لامرالله، إمّا يعذّبهم وإمّا يتوب عليهم والله عليم» (الآية ١٠٦، سورة التوبة).

ومن كبار المرجئة يمكن الإشارة إلى أبو حنيفة (صاحب المذهب الحنفي) وأبو شمر القدري وغيلان القدري. (دهخدا، علي أكبر، «معجم اللغة»).

٢. **ابن أبي زينب، محمّد بن ابراهيم**، «الغيبة للنعماني»، ص ٢٨٤.

٣. **ابن بابويه، محمّد بن علي**، «كمال‌الدّين وتمام‌النعمة»، ج ١، ص ٣١٨.

الظالمين وإحباط محاولات الأنظمة الاستكبارية، يقوم الإمام بتطهير بقية السيف وبقايا آثار ومباني الشـــرك والنفاق ليرسي دعائم دولته على أسس العدل والقسط والرحمة الواسعة. إن شاء الله.

الفصل الثاني:

تبعات الغيبة

حصل؛ الذي لما كان يجب أن يحصل!

لقد تطرقنا في الفصل السابق إجمالا إلى كل ما أدى إلى وقوع الغيبة. والان يجب رؤية ما التبعات والنتائج التي انطوت عليها هذه الواقعة.

لقد كان أئمة الهدى عليهم السلام على علم بسر الغيبة المكتوم، وكل ما كان يجري ويسود بين الأمة الاسلامية، والذي كان بوسعه أن يتحول إلى سبب لغيبة حجة الله. وفضلا عن ذلك، فان الأئمة عليهم السلام كانوا على علم أيضا بنتائج وآثار هذه الواقعة، لذلك فان الإمام الجواد عليه السلام بدأ نشاطات خاصة في سبيل تجهيز المسلمين وإضفاء الحصانة عليهم مقابل تبعات غيبة حجة الله. وكأن أمر الغيبة، قد دون في لوح مقدرات المسلمين، لكن لا أحد كان يعرف مدتها، ولم يكن يتصور أن تدوم وتستمر إلى عصرنا هذا الذي نعيش فيه.

ومن بين مجموعة العوامل المؤثرة التي وردت في القسم السابق، يمكن تسليط الضوء على موضوعي **إضفاء الحصانة** على إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف حتى يمتلئ الوعاء الزمني اللازم وحلول موعد شروق شمس الحقيقة، والاخر **ابتلاء وامتحان الناس** حتى الوصول إلى الكمال والجهوزية التامة لمواكبة حجة الله الحي.

حدّثنا **الصّقر بن أبى دلف** قال: سمعت أبا جعفر محمّد بن علىّ الرّضا عليه السلام يقول:

«إن الإمام بعدى ابنى علىّ أمره أمرى وقوله قولى وطاعته طاعتى

والإمام بعده ابنه الحسن أمره أمر أبيه وقوله قول أبيه وطاعته طاعة أبيه.

ثمّ سكت فقلت: **يا ابن رسول الله فمن الإمام بعد الحسن؟** فبكى عليه السلام بكاء شديدا ثمّ قال عليه السلام:

«إنّ من بعد الحسن ابنه القائم بالحقّ المنتظر.»

فقلت له: **يا ابن رسول الله! لم سمّى القائم؟** قال عليه السلام:

«لأنّه يقوم بعد موت ذكره وارتداد أكثر القائلين بإمامته.»

فقلت له: **ولم سمّى المنتظر؟** قال عليه السلام:

«لأنّ له غيبة يكثر أيّامها ويطول أمدها فينتظر خروجه المخلصون وينكره المرتابون ويستهزئ بذكره الجاحدون ويكذب فيها الوقّاتون ويهلك فيها المستعجلون وينجو فيها المسلمون.»[1]

وفي هذا الحوار، يميط الإمام الجواد عليه السلام اللثام أولا عن الغيبة وانتظار طويل؛ ويرسم ثانيا، صورة عن الوضع النفسي والفكري الذي يحل على إثر غيبة الإمام في المجتمع الاسلامي.

وفي ظل تصنيف الناس نسبة إلى أمر إمامة صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف، يعلن ثالثا أن الإنتظار المخلص والتسليم المتعبد، يمثلان شرطي النجاة. الشرطان اللذان إن وجدا، لما كانت الغيبة تحصل ربما، وطالما لم يتحقق هذان الشرطان بين المسلمين، فانهم سيظلون في حيرة من أمرهم، وفضلا عن ذلك، فان ابتلاء الغيبة ومن خلال إماطة اللثام عن موقف المرتابين، فصل صفوف المنكرين والمستعجلين، واعتبره فارقا بين أهل الحق والباطل.

وكأن لا محك كان قادرا على هذا المستوى من الثبات، التمييز بين صفوف وقلوب الناس، وبالتنالي غربلة المجتمع الموبوء بعصر بني العباس.

---

١. **ابن بابويه، محمّد بن علي**، «كمال‌الدّين وتمام النعمة»، ج ٢، ص ٣٧٨.

عصر الحيرة، عصر المسكنة (ابتلاء التيه)

وفي سند، يتحدث الإمام الجواد عليه السلام عن وقوع عصر الحيرة وتحير المسلمين في «وادي التيه».

عن **أميّة بن عليّ القيسي** قال:

قلت لأبي جعفر محمّد بن عليّ الرّضا عليه السلام: **من الخلف بعدك؟** فقال عليه السلام:

«**ابني عليّ وابنا علي** عليه السلام.»

ثمّ أطرق مليّا، ثمّ رفع رأسه ثمّ قال:

«**إنّها ستكون حيرة.**»

قلت: **فإذا كان ذلك فإلى أين؟** فسكت، ثمّ قال عليه السلام:

«**لا أين...**»

حتّى قالها ثلاثا... .[1]

إن **الحيرة** تعد من الخصائص البارزة وابتلاء عصر الغيبة.

إن الحيرة بمعنى **التيه** و**الضلال**، تعد من السنن الإلهية الثابتة.

ومتى ما أحجم قوم، بعد الاطلاع على الحقائق وتحديد الباطل ومعرفة أئمة الهداية والكفر وبالتالي إتمام الحجة، عن التسليم بأمر ونهي الحجج الإلهيين، ويتبعون العصيان والتمرد، فانهم يصابون بـ«وادي التيه» والحيرة، وأن هذه الحيرة

---

١. **ابن أبي زينب، محمّد بن ابراهيم**، «الغيبة للنعماني»، ص ١٨٥.

والتيه سيستمران إلى أن يحين وقت التنبه والتيقظ وإعادة النظر في القول والفعل السابقين، ولم يستثن أي قوم من هذا.

وكان «بنو اسرائيل» أشهر قوم ابتلوا بـ«عصر الحيرة» والتيه وجربوا بمرارة وادي التيه. وبعد سنوات من الأسر بيد فرعون وجنوده، ضجوا وبكوا إلى الله وطلبوا منه العون والمعين، فماج بحر الرحمة وخرج حجة الله الحي من خلف ستار الغيبة وسارع إلى نجدتهم.

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«فلمّا طال على بنى إسرائيل العذاب ضجّوا وبكوا إلى الله أربعين صباحا فأوحى الله إلى موسى وهارون يخلّصهم من فرعون فحطّ عنهم سبعين ومائة سنة... هكذا أنتم لو فعلتم لفرّج الله عنّا فأمّا إذا لم تكونوا فإنّ الأمر ينتهى إلى منتهاه.»[1]

وتبين هذه الرواية، سنة **وقوع غيبة حجة الله على إثر جحود** الأمم ونكثها العهد. فضلا عن أن الله تعالى، يقرر جزاء العباد، حسب الجرم الذي يرتكبوه، وبالتالي، فان تاب العباد وطلبوا المغفرة، فان مقدار الجزاء المحدد سيقل، مثل القاضي العادل، الذي يحكم على المجرم بقدر الجرم الذي اقترفه ويعاقبه بحد من الجزاء سواء الحبس أو غيره، لكنه يتيح له أيضا إمكانية تخفيف الجزاء والعقوبة. فان برهن المجرم السجين، ندمه فانه سيحظى بعفو القاضي والتخلص من السجن.

وكان مقدار محدد من الجزاء (البعد والغيبة) قد حدد لـ«بني اسرائيل»، لكنهم استقروا على مدار التوبة والإنابة ومهدوا لفوران بحر رحمة الله. فجاء موسى وهارون عليهما السلام، وانقذا بعد أحداث طويلة، وبخطة ليلية قرابة ستمائة شخص من «بني اسرائيل» من «مصر» ومضوا بهم إلى الأرض المقدسة.

وكانت تجربة المعجزة التي تحققت على يد النبي موسى عليه السلام والفوائد

---

١. **المجلسي، محمّد باقر**، «بحار الأنوار»، ج ٤، ص ١١٨؛ نقلا عن **العياشي، محمّد بن مسعود**، «تفسير العيّاشي»، ج ٢، ص ١٥٤.

المتحصلــة من عودة حجــة الله، تكفي لكي يمتثل وينصاع بنو إســرائيل لأوامر **النبي موسى**عليه السلام بالكامل ومؤازرته في بيعة تامة لتحققق الخارطة الإلهية. هيهات!

وتمثلت مهمة النبي موســى و**هارون**عليهما السلام في إرشــاد بني إسرائيل نحو الأرض المقدســة، وقمع العمالقة الذين كان يقيمون فيها وتأسيس الدولة بإذن الله. حلقة من سلســلة توالي الأنبياء والرســل، السلســلة الطويلة التي تفضي في آخر حلقة منها، ووفقا للخارطة الإلهية العامة ما بعد ظهور الموعودعليه السلام إلى تأسيس الملك الإلهي العظيم؛ لكن...

إن «بني إســرائيل» وبعد تخطي الخوف والخطــر الفرعونيين وعبور «البحر الأحمر» وصلوا إلى بوابات الأرض المقدسة، أرض اللبن والعسل. إن رواية التوراة في سفري «العدد» و «التثنية» في هذا الخصوص، تستحق التأمل.

وبعد أن خرجوا من «مصر» (١٤٤٦ق.م.) عبر بنو إسرائيل البحر الأحمر ومناطــق بما فيها «جبل الطور» (ســيناء) وأجزاء من «صحراء ســيناء» ومحطات التوقف العديدة فيها. واســتمرارا لســيرهم نحو أرض الميعاد، وصلوا إلى صحراء تدعى «قادش برنيع»،[1] وهى أقرب جزء من صحراء ســيناء من الحدود الجنوبية لـ«كنعان» وتعد بعد جبل سيناء، أشهر موقع فى تاريخ تيههم. وقد أمضى بنو إسرائيل، معظم سنوات التيه التى دامت أربعين عاما، فى هذا الموقع.

وهنا، أرســل النبى موســىعليه السلام، اثنى عشــر نقيبا من بنى إســرائيل إلى الحدود الجنوبية لأرض كنعان، لدراســة ظروفها الجغرافية والاقتصادية وإمكاناتها ووضعها الدفاعى (١٤٤٣هـ .ق.م.).[1]

وتصف التوراة، هذا الحدث هكذا:

ثمّ كلّم الرّبّ موســى قائلا: «أرســل رجالا ليتجسّسوا أرض كنعان الّتى

---

١. **اسدي، علي**، فصلية «معرفة الأديان»، السنة الثانية، العدد الأول، شتاء ٨٩، صص ٥-٢٠؛ نقلا عن «الكتاب المقدّس»، سفر الخروج، الأصحاح ٢٢:١٥ وسفر العدد، الأصحاح ١٠.

أنا معطيها لبنى إسرائيل رجلا واحدا لكلّ سبط من آبائه ترسلون. كلّ واحد رئيس فيهم.»

فأرسلهم موسى من برّيّة «فاران» حسب قول الرّبّ. كلّهم رجال هم رؤساء بنى إسرائيل، وهذه أسماؤهم: من سبط رأوبين شمّوع بن زكّور. من سبط شمعون شافاط ابن حورى. من سبط يهوذا كالب بن يفنّة. من سبط يسّاكر يجآل بن يوسف. من سبط أفرايم هوشع بن نون. من سبط بنيامين فلطى بن رافو. من سبط زبولون جدّيئيل بن سودى. من سبط يوسف: من سبط منسّى جدّى بن سوسى. من سبط دان عمّيئيل بن جملّى. من سبط أشير ستور بن ميخائيل. من سبط نفتالى نحبى بن وفسى. من سبط جاد جأوئيل بن ماكى. هذه أسماء الرّجال الّذين أرسلهم موسى ليتجسّسوا الأرض. ودعا موسى هوشع بن نون (يشوع).

فأرسلهم موسى ليتجسّسوا أرض كنعان، وقال لهم: اصعدوا من هنا إلى الجنوب واطلعوا إلى الجبل، وانظروا الأرض، ما هى: والشّعب السّاكن فيها، أقوىّ هو أم ضعيف؟ قليل أم كثير؟ وكيف هى الأرض الّتى هو ساكن فيها، أجيّدة أم رديئة؟ وما هى المدن الّتى هو ساكن فيها، أمخيّمات أم حصون؟ وكيف هى الأرض، أسمينة أم هزيلة؟ أفيها شجر أم لا؟ وتشدّدوا فخذوا من ثمر الأرض.

وأمّا الأيّام فكانت أيّام باكورات العنب. فصعدوا وتجسّسوا الأرض من برّيّة «صين» إلى «رحوب» فى مدخل «حماة». صعدوا إلى الجنوب وأتوا إلى حبرون. وكان هناك أخيمان وشيشاى وتلماى بنو عناق. وأمّا حبرون فبنيت قبل صوعن مصر بسبع سنين. وأتوا إلى وادى أشكول، وقطفوا من هناك زرجونة بعنقود واحد من العنب، وحملوه بالدّقرانة بين اثنين، مع شىء من الرّمّان والتّين. فدعى ذلك الموضع «وادى أشكول» بسبب العنقود الّذى قطعه بنو إسرائيل من هناك. ثمّ رجعوا من تجسّس

الأرض بعد أربعين يوما.

فســاروا حتّى أتوا إلى موســى وهارون وكلّ جماعة بنى إسرائيل، إلى برّيّــة «فــاران»، إلى «قــادش»، وردّوا إليهما خبرا وإلــى كلّ الجماعة وأروهم ثمر الأرض.

وأخبروه وقالوا: قد ذهبنا إلى الأرض الّتى أرسلتنا إليها، وحقّا إنّها تفيض لبنا وعسلا، وهذا ثمرها. غير أنّ الشّعب السّاكن فى الأرض معتزّ، والمدن حصينة عظيمة جدّا. وأيضا قد رأينا بنى عناق هناک. العمالقة ساكنون فى أرض الجنوب، والحثّيون واليبوسـيّون والأموريّون سـاكنون فى الجبل، والكنعانيّون ساكنون عند البحر وعلى جانب الأردن.

لكن كالب أنصت الشّـعب إلى موســى وقال: إنّنا نصعــد ونمتلكها لأنّنا قادرون عليها.

وأمّــا الرّجال الّذين صعــدوا معه فقالوا: لا نقدر أن نصعد إلى الشّــعب، لأنّهم أشدّ منّا.

فأشــاعوا مذمّة الأرض الّتى تجسّسوها، فى بنى إسرائيل قائلين: الأرض الّتى مررنا فيها لنتجسّسها هى أرض تأكل سكّانها، وجميع الشّعب الّذى رأينا فيهــا أناس طوال القامة. وقد رأينا هنــاک الجبابرة، بنى عناق من الجبابرة. فكنّا فى أعيننا كالجراد، وهكذا كنّا فى أعينهم.[1]

وقد قذف التقرير الذي اعده الجواسيس الخوف والرعب في قلوب «بني اسرائيل» واعاق ارجلهم من الذهاب وعقدوا العزم بالتالى على العوده إلى مصر.

فرفعت كلّ الجماعة صوتها وصرخت، وبكى الشّعب تلک اللّيلة. وتذمّر على موســى وعلى هارون جميع بنى إســرائيل، وقال لهما كلّ الجماعة: «ليتنــا متنا فى أرض مصــر، أو ليتنا متنا فى هذا القفــر! ولماذا أتى بنا الرّبّ إلى هذه الأرض لنســقط بالسّيف؟ تصير نســاؤنا وأطفالنا غنيمة.

١. «الكتاب المقدّس»، سفر العدد، الأصحاح ١٣، الآيات ١-٣٣.

أليس خيرا لنا أن نرجع إلى «مصر»؟ فقال بعضهم لبعض: نقيم رئيسا ونرجع إلى مصر.[١]

ولم تثمر محاولات **النبي موسى وهارون** عليهما السلام **ويوشع بن نون وكالب**، واللذان كانا ممن تجسسا المنطقة، لإقناع بني إسرائيل لمواكبة نبي الله عليه السلام.

وجزاء لهم لنكثهم العهد، قرر الله تعالى، التيه لهم لمدة أربعين عاما.

وتقول «التوراة» انه بعد الاحتجاج والتذمر والرغبة في العودة، خاطب الله تعالى، موسى وهارون قائلا:

حتّى متى أغفر لهذه الجماعة الشّرّيرة المتذمّرة علىّ؟ قد سمعت تذمّر بنى إسرائيل الّذى يتذمّرونه علىّ. قل لهم: حىّ أنا يقول الرّبّ، لأفعلنّ بكم كما تكلّمتم فى أذنىّ. فى هذا القفر تسقط جثثكم، جميع المعدودين منكم حسب عددكم من ابن عشرين سنة فصاعدا الّذين تذمّروا علىّ. لن تدخلوا الأرض الّتى رفعت يدى لأسكننّكم فيها، ما عدا كالب بن يفنّة ويشوع بن نون. وأمّا أطفالكم الّذين قلتم يكونون غنيمة فإنّى سأدخلهم، فيعرفون الأرض الّتى احتقرتموها. فجثثكم أنتم تسقط فى هذا القفر، وبنوكم يكونون رعاة فى القفر أربعين سنة، ويحملون فجوركم حتّى تفنى جثثكم فى القفر. كعدد الأيّام الّتى تجسّستم فيها الأرض أربعين يوما، للسّنة يوم. تحملون ذنوبكم أربعين سنة فتعرفون ابتعادى.[٢]

القرآن يروي ما جرى

إن الرواية التي يوردها «القرآن الكريم» حول تيه بني إسرائيل في «وادي التيه»، قريبة إلى الرواية التي توردها التوراة اليوم.

و «التيه» في اللغة، تعني الحيرة كما تطلق على صحراء سيناء حيث تاه فيه

١. «الكتاب المقدّس»، سفر العدد، الأصحاح ١٤، الآيات ١-٤.
٢. المصدر السابق، الأصحاح ١٤، الآيات ٢٦-٣٤.

هؤلاء القوم أربعين عاما، وحرموا من بركات الأرض.[١]

ولـم ترد هـذه المفردة فـی القرآن، بل أخذت مـن تعبيـر «يَتيهُونَ فِی الْأَرْضِ»[٢] وهـی أرض تقع بين «ايله» و «مصـر» بحر «قلزم» و جبال «سـراة» من بلاد «الشـام» وقيل أن مسـاحتها تبلغ أربعين فرسخا فی أربعين فرسخا.[٣]

«قالَ فَإِنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَـنَةً يَتِيهُونَ فِی الْأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَی الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ»[٤]

ويعتبر القرآن الكريم، إعراض بني إسـرائيل عن تنفيذ أوامر الله، وطيشهم، بانه مصداق للفسق.

ويقول «القرآن الكريم:

«يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتی كَتَبَ اللهُ لَكُمْ...»[٥]

إن مفـردة كتب تنطوي في حـد ذاتها على جل مفهـوم المقدر والواجب، بحيث وردت في صدور أحكام مثل القصاص والصوم:

«يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا كُتِبَ عَلَيكُمُ الصِّيامُ»[٦]

وكان أمر الله بالدخول إلى الأرض المقدسـة، أمـرا واجبا كالصيام والصلاة، إذ كان لا بـد من الإمتثـال والإنصياع له، لكنهم افتعلوا ضجيجـا وتذمرا وقالوا متوجهين إلى **النبي موسى**(عليه السلام):

«قَالُواْ يَمُوسَـی إِنَّ فيهَا قَوْماً جَبَّارِيـنَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّی يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَخِلُونَ»[٧]

---

١. **قرائتي، محسن**، «تفسير النور»، عشرة مجلدات، المركز الثقافي لدروس في القرآن، ١٣٨٣، ج ٢، ص ٢٧٥.
٢. سورة المائدة، الآية ٢٦.
٣. **دهخدا، علي أكبر**، «معجم اللغة»، نقلا عن «معجم البلدان».
٤. سورة المائدة، الآية ٢٦.
٥. المصدر السابق، الآية ٢١.
٦. سورة البقرة، الآية ١٨٣.
٧. سورة المائدة، الآية ٢٢.

«قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ»[١]

لكن بنى إسرائيل قالوا للنبي **موسى** عليه السلام:

«يا مُوسى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَها أَبَداً ما دامُوا فِيها فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّكَ فَقاتِلا إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ»[٢]

وحينها توجه النبي موسى عليه السلام إلى الله تعالى قائلا:

«قالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَ أَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنا وَ بَيْنَ الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ»[٣]

ومن هنا، نالوا جزاء عصيانهم، فحرموا من الأرض المقدسة أربعين عاما، وضلوا وذهبوا في حيرة طيلة هذه المدة أربعين أربع.

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«إنّ الله أمر لبنى إسرائيل أن يدخلوا الأرض المقدّسة الّتى كتب الله لهم ثمّ بدا له فدخلها أبناء الأنبياء.»[٤]

مواقيت حيرة الإنسان وضلاله

وتنتاب الإنسان، **الحيرة** والضلال، في أوقات مختلفة:

١. الغربة، والضلال في **الموقع**؛ كالمسافر الغريب الذي يتيه في مدينة ما لم يرها من قبل قط، ويذهب إلى كل موقع ومكان، للعثور على صديق أو دال يدله على المكان.

المسافر الذي لا يهتدي إلى طريقه في الجادة والبرية، ولا يجد في السماء،

---

١. سورة المائدة، الآية ٢٣.
٢. المصدر السابق، الآية ٢٤.
٣. المصدر السابق، الآية ٢٥.
٤. **المفيد، محمّد بن محمّد**، «الإختصاص»، قم، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ .ق.، ص ٢٦٦.

قطعة سحاب وغيمة وكوكب يرشده إلى الطريق، تنتابه الحيرة؛

٢. الذي يستفيق من نوم عميق أو غيبوبة دخل فيها، ويضيع عليه الزمان. فلا يدري في أي ساعة من الليل أو النهار هو؛

٣. وإضافة إلى ذلك، فان الانسان، يصاب بالحيرة في **زحمة المعطيات** وتعدد المقترحات والتوصيات.

ويسمون العصر الحاضر، **بعصر ثورة المعلومات**. وعلى خلفية زحمة وتكدس المعلومات التي تنهال من هنا وهناك بغزارة، وعلى إثر هذا الغزو، تزول إمكانية التفكير والتدبر وتمييز السليم عن السقيم. ولم يكن الانسان في أي عصر من عصور التاريخ، بقدر هذا العصر، يبحث عن الحقيقة وهو في حيرة من امره إلى هذه الدرجة.

إن من يخرج الانسان في خضم هذه الظروف، من هذا الوضع الإنفعالي، هي **لوحة إرشادية في الصحراء وساعة دقيقة** منبهة وفارق وحجة أمين، يوفر للمرء إمكانية الخروج من الحيرة و**اكتشاف ذاته وموقعه**.

إن هذا الفارق والمؤشر في الأدبيات الدينية، هما ذلك **الحجة** الجلية التي هي بمنزلة **الدال** في العالمين الملكي والملكوتي، ليمسك بيد السالك المتقطعة به السبل؛

٤. إن «بني إسرائيل» كانوا يملكون بجانبهم، **حجة جلية** أي **النبي موسى**عليه السلام و**أمره السماوي**، لكن الابتلاء **بالفسق**، انتزع منهم إمكانية الإصغاء للحجة والتبعية له. لذلك، فان جميع الأمم التي **ابتليت في كل الأزمنة والأمكنة بالفسق**، أصيبت بالحيرة والضلال أيضا؛

٥. وهل فكرتم يوما بحالة المسافر **فجرا؟**

وفي حالة الفجر الاجتماعية، فان تمازج الحق والباطل، يعيق الانسان من تشخيص النهار عن الليل، فالحيرة تصبح وبالا على المرء فتدفعه كالحمل الذي يداهمه الشك، أن يتقدم خطوة إلى الأمام ويتراجع أخرى إلى الوراء.

إن عصر غلبة **الفتن**، هو عصر تنامي الحيرة والضلال في المناسبات والعلاقات الاجتماعية للناس، إن التراجع والانفعال وبالتالي الحيرة، وإن لم يجد الانسان مفرا بفضل الله تعالى، فانه سيتحول إلى فريسة للشيطان وأشياعه.

وكل ما تحدثنا عنه، وكانت الأمة الاسلامية مصابة به، أعقبه الانزلاق في براثن الحيرة والضلال، العصر الذي يمر عليه اليوم ما يزيد عن ألف ومائة وواحد وثمانين عاما.

ويرى المؤلف أن **ممارسة الظلم ضد آل الله، والانفصال المقصود عن حضرة ولي الله**، يشكل أبرز سبب للابتلاء بعصر الحيرة.

وقد قارن الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام في رواية أتينا على ذكرها آنفا، الوقائع والأحداث التي طرأت للمسلمين بما حل ب «بني إسرائيل» وشبهها بها، وصرح بان تيه المسلمين في زمن غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه، سيكون أصعب وأزيد بعدة أمثال من عصر تيه قوم **موسى** عليه السلام.

«أيّها النّاس! إنّ المنتحلين للإمامة من غير أهلها كثير ولو لم تتخاذلوا عن مرّ الحقّ ولم تهنوا عن توهين الباطل لم يتشجّع عليكم من ليس مثلكم ولم يقو من قوى عليكم وعلى هضم الطّاعة وإزوائها عن أهلها لكن تهتم كما تاهت بنو إسرائيل على عهد موسى بن عمران عليه السلام ولعمرى ليضاعفنّ عليكم التّيه من بعدى أضعاف ما تاهت بنو إسرائيل... .»[1]

إن الرجوع إلى آيات القرآن وشرح ما حل بـ«بني إسرائيل» يظهر أن فسق بني إسرائيل في الاعتزال والابتعاد عن حجة الله (النبي موسى عليه السلام) والتنصل عن الحكم الواجب في التبعيه له، هو رديف لفسق المسلمين في الاعتزال والابتعاد عن أئمة الهدى عليهم السلام والتخلي عن حجة الله ما أدى إلى حدوث عصر الحيرة.

ويروي **الشيخ الطوسي** في «الغيبة» مسألة غريبة، وقعت كما يقول قبل عام ٣١١ للهجرة أو حواليه. وينقل بسند عن **إبراهيم الفدكي** عن **أودي** [أو أزدي]:

---

١. **الكليني، محمّد بن يعقوب**، «الكافي»، ج ٨، ص ٦٦.

بینا أنا فی الطّواف قد طفت ستّة وأرید أن أطوف السّابعة فإذا أنا بحلقة عن یمین الکعبة وشابّ حسن الوجه طیّب الرّائحة هیوب ومع هیبته متقرّب إلی النّاس فتکلّم فلم أر أحسن من کلامه ولا أعذب من منطقه فی حسن جلوسه فذهبت أکلّمه فزبرنی النّاس فسألت بعضهم من هذا؟ فقال:

ابن رسول الله صلی الله علیه و آله. یظهر للنّاس فی کلّ سنة یوما لخواصّه فیحدّثهم ویحدّثونه.

فقلت: مسترشد أتاک فأرشدنی هداک الله.

فناولنی حصاة فحوّلت وجهی فقال لی بعض جلسائه ما الّذی دفع إلیک ابن رسول الله صلی الله علیه و آله فقلت: حصاة فکشفت عن یدی فإذا أنا بسبیکة من ذهب فذهبت وإذا أنا به قد لحقنی. فقال:

«ثبتت علیک الحجّة وظهر لک الحقّ وذهب عنک العمی أ تعرفنی؟»

فقلت: اللهمّ لا! فقال:

«أنا المهدیّ أنا قائم الزّمان أنا الّذی أملأها عدلا کما ملئت ظلما وجورا إنّ الأرض لا تخلو من حجّة ولا یبقی النّاس فی فترة أکثر من تیه بنی إسرائیل وقد ظهر أیّام خروجی فهذه أمانة فی رقبتک فحدّث بها إخوانک من أهل الحق.»[1]

وکان جزاء الجریرة، أربعون عاما من تیه المسلمین وحیرتهم، وإن کانوا یعوضون عن العهد الذي انفصم، لکان یحصل اللقاء مع حضرته وینتهي عهد الفتور، لکن أحد أسباب تکرر وتمدید هذه الفترة، یعود إلی غیاب الشرط اللازم ألا وهو التوبة والعودة عن الجریرة المقترفة والعمل وإبرام العهد للتعویض عما فات، أي الرجوع إلی الإمام المهدي عجل الله تعالی فرجه الشریف. الشئ الذي لم یحصل طیلة هذه القرون التي خلت.

---

۱. **الطوسي، محمّد بن الحسن**، «الغیبة»، ص ٤٢٥٣؛ **ابن بابویه، محمّد بن علي**، «کمال الدّین وتمام النعمة»، ج ٢، ص ٤٤٤.

وألم ينته عصر الحيرة والتيه بعد رجوع بني إسرائيل إلى وصي **النبي موسى** عليه السلام أي **يوشع بن نون** عليه السلام وإعرابهم عن ندمهم، ودخل بنو إسرائيل بصحبة هذا الوصي إلى أرض اللبن والعسل، الأرض المقدسة؟

واللافت هو: روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أن وصي النبي موسى عليه السلام، يوشع بن نون عليه السلام، عاش لثلاثين عاما بعد موسى عليه السلام.[١] وقد رتب ونظم شؤون بني إسرائيل الذين دخلوا في قتال مع العمالة بقيادته وفتحوا مدينة «أريحا» و أرض «فلسطين».[٢]

وكان يوشع بن نون عليه السلام وكالب اثنين من الرجال اللذين خشيا الله وشجعا بني إسرائيل على الدخول إلى الأرض المقدسة ومقاتلة العمالقة.

وورد في تفسير «الآية ٦٠ من سورة الكهف» في قصة موسى و**خضر** عليهما السلام، أن يوشع بن نون هو أحد مرافقي موسى عليه السلام. ويقول الله تعالى في هذه الآية:

«وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا»

والقصد من **فتاه** هنا، وحسب العديد من المفسرين والكثير من الروايات، هو يوشع بن نون، الرجل الشجاع والمقداد وصاحب الإيمان في بني إسرائيل، وأن التعبير **بفتى** يكون قد ورد إما لصفاته البارزة هذه أو بسبب إسدائه الخدمة لموسى عليه السلام ومرافته ومصاحبته.

ويقول **العلّامة طباطبائي** رحمه الله:

وحول الشاب الذى كان برفقة النبى موسى عليه السلام، قال البعض أنه كان وصيه يوشع بن نون، وتؤكد ذلك الروايات أيضا.

بينما ذهب البعض إلى أنه سمى بالفتى لانه كان معه دائما فى السفر والحضر، أو بسبب إسدائه الخدمة لموسى عليه السلام ومرافقته ومصاحبته له.[٣]

---

١. **ابن بابويه، محمّد بن علي**، «كمال الدّين وتمام النّعمة»، ج ١، ص ٢٧.

٢. **المجلسي، محمّدباقر**، «بحار الأنوار»، ج ١٣، ص ١٦٩.

٣. ويكي فقه، الموسوعة الحوزوية؛ نقلا عن **مكارم شيرازي، ناصر** وآخرين، «تفسير نمونه»، ج ١٢، ص ٤٨٠.

يوشع عليه السلام في الروايات

وحسب النقل المشهور، فان **النبي موسى** عليه السلام رحل عن هذه الدنيا، في «وادي التيـه» وانتقلت النبوة من بعده إلى **يوشـع بن نون** الذي كان مـن أبناء **افرائيم بن يوسف.**[١] وجاء في الحديث أن النبي موسى عليه السلام مزق قميصه في وفاة **هارون** عليه السلام.[٢]

وقبل وفاته، جعل النبي موسـى عليه السلام، يوشـع بن نون وصيا من بعده، وأودعه في الأيام الأخيرة من عمره، الألواح المقدسـة التي كتبت عليها أحكام الله، مرفقة بدرعه وأشياء تذكارية أخرى.

ونال يوشـع بن نون الوصاية في عمر ٩٧ عاما. وقاد «بني إسرائيل» لمقاتلة العمالقة، وبعد فترة من مقاتلتهم، رزقه الله النصر، وفتح مدينة «أريحا» وأسـكن بني إسرائيل فيها.

> **وعندما توفى النبى موسـى عليه السلام فى التيه، بعث الله تعالى، يوشع بن نون بن إفرائيم بن يوسـف بن يعقوب بن إسـحاق بن إبراهيم، لبنى إسرائيل، وأمره بمهاجمة بلاد الظالمين، أريحا.**[٣]

وجاء في رواية أخرى أن يوشع بن نون، بقي على قيد الحياة، ثلاثين عاما بعد النبي موسى عليه السلام، ورتب خلال هذه الفترة، أوضاع بني إسرائيل، وحارب أعداءهم وقمعهم جميعا وقسّم أرض «فلسطين» و «الشامات» بينهم.

واعتبـرت الأحاديث الإسـلامية، أن يوشـع بن نون، يعد واحـدا من الذين سيرجعون إبان ظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وسيكون كالنبي **عيسى** عليه السلام إلى جانبه.[٤]

ابتلاء الناس، ابتلاء الإمام

لقد كان الناس، مصدر الابتلاء بالحيرة في عصر **النبي موسـى** عليه السلام، لكنه بقي

---

١. المصدر السابق، نقلا عن **المجلسي، محمّد باقر**، «بحار الأنوار»، ج ١٣، ص ٣٧٢.
٢. المصدر السابق.
٣. ويكي فقه، الموسوعة الحوزوية؛ نقلا عن **المجلسي، محمّد باقر**، «بحار الأنوار»، ج ١٣، صص ٣٧٢-٣٧٣.
٤. **العيّاشي، محمّد بن مسعود**، «تفسير العياشي»، ج ٢، ص ٣٢.

فـــي اضطرار تـــام وانتظار تام إلى أن رحل عن هذه الدنيا، في الغربة والوحدة (من حيث المحيطين به).

وروى **جعفـــر بـــن محمّـــد بن عمـــارة** عن أبيه قـــال: قلت للصّـــادق جعفر بن محمّد عليه السلام: **أخبرنى بوفاة موسى بن عمران** عليه السلام. فقال عليه السلام:

«إنّه لمّا أتاه أجله واستوفى مدّته وانقطع أكله أتاه ملك الموت. فقال له: السّلام عليك يا كليم الله فقال موسى: وعليك السّلام من أنت؟

فقال: أنا ملك الموت.

قال: ما الّذى جاء بک؟

قال: جئت لأقبض روحک.

فقال له موسى عليه السلام: **من أين تقبض روحى؟**

قال: من فمک.

قال موسى عليه السلام: **كيف وقد كلّمت به ربّى جلّ جلاله.**

قال: فمن يديک.

قال عليه السلام: **كيف وقد حملت بهما «التّوراة».**

قال: فمن رجليک.

قال عليه السلام: **كيف وقد وطئت بهما «طور سيناء».**

قال: فمن عينک.

قال عليه السلام: **كيف ولم تزل إلى ربّى بالرّجاء ممدودة.**

قال: فمن أذنيک.

قال عليه السلام: **كيف وقد سمعت بهما كلام ربّى عزّ وجلّ.**

قـــال فأوحى الله تبارک وتعالى إلى ملک المـــوت لا تقبض روحه حتّى يكون هو الّذى يريد ذلک وخرج ملک الموت فمكث موسى عليه السلام **ما شاء الله أن يمكث بعد ذلک ودعا يوشـــع بن نون فأوصى إليه وأمره بكتمان أمره وبأن يوصى بعده إلى من يقوم بالأمر وغاب موســـى** عليه السلام **عن قومه**

فمـــرّ فى غيبته برجل وهو يحفر قبرا. فقــال له: ألا أعينک على حفر هذا القبر؟ فقال له الرّجل: بلى.

فأعانـــه حتّى حفر القبر وســوّى اللّحد ثمّ اضطجع فيه موســى عليه السلام لينظر كيف هو فكشــف الله لــه الغطاء فرأى مكانــه فى الجنّة. فقــال: يا ربّ اقبضنى إليک فقبض ملک الموت روحه مكانه ودفنه فى القبر وســوّى عليــه التّراب وكان الّذى يحفر القبر ملک الموت فى صورة آدمىّ وكان ذلک فى «التّيه» فصاح صائح من السّــماء: مات موســى كليم الله وأىّ نفس لا تموت.»[1]

وأورد **الشــيخ الطوسي** في كتاب «التهذيب» أن رحيل **النبي موسى** عليه السلام وقع في ليلة الحادي والعشــرين من شــهر رمضان، مثلما أن **النبي عيسى** عليه السلام قد صعد به إلى السماء في تلك الليلة.[2]

لقد كان ابتلاء غيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف حصيلة عمل وأداء الأمة الاســلامية ذاتهـــا، إذ خضنا في ذلك ســـلفا، بيد أن الإمام ابتلي ببـــلاء الغيبة وأصبح طريدا وفريدا وشريدا ووحديا.

عن **الأصبغ بن نباتة** قال سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول:

«**صاحب هذا الأمر الشّريد الطّريد الفريد الوحيد.**»[3]

وثمـــة روايات عديـــدة وردت حول الاستفســـار عن مـــكان حياة صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف. ولـــم تحدد هذه الروايات، مكانا خاصا لعيـــش الإمام، واعتبرت أن موقعه ومكانه في الصحارى والبراري والجبال والأماكن النائية.

وفي رواية يتوجه الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف إلى **علي بن مازيار** قائلا:

«**يـــا ابن المازيار! أبى أبو محمّد عهـــد إلىّ أن لا أجاور قوما غضب الله عليهم ولعنهم ولهم الخـــزى فى الدّنيا والآخرة ولهم عذاب أليم وأمرنى**

---

١. **ابن بابويه، محمّد بن علي**، «كمال الدّين وتمام النعمة»، ج ١، ص ١٥٣– ١٥٤.

٢. **الطوسي، محمّد بن حسن**، «تهذيب الأحكام»، تحقيق **خرسان**، ج ١، ص ١١٤.

٣. **ابن بابويه، محمّد بن علي**، «كمال الدّين وتمام النعمة»، ج ١، ص ٣٠٣.

أن لا أسكن من الجبال إلّا وعرها ومن البلاد إلّا عفرها».[١]

وكتب الإمام عجل الله فرجه إلى **الشيخ المفيد:**

«وإن كنّا نائين بمكاننا النّائى عن مساكن الظّالمين حسب الّذى أرانا الله تعالى لنا من الصّلاح ولشيعتنا المؤمنين فى ذلک ما دامت دولة الدّنيا للفاسقين فإنّا نحيط علما بأنبائكم ولا يعزب عنّا شيء من أخباركم... .»[٢]

ابتلاء الإمام، سبب ارتقاء الإمام

وبعد وقوع الغيبة، تاه الناس كالقطيع بلا راع، في الجبال والبراري؛ وأصيبوا بعدم الثبات في النظرية والتطبيق، وابتلوا بمكر الليل والنهار. وقد وصف الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام وضع المسلمين في عصر الغيبة في عدة روايات بما في ذلك:

«للقائم منّا غيبة أمدها طويل كأنّى بالشّيعة يجولون جولان النّعم فى غيبته يطلبون المرعى فلا يجدونه ألا فمن ثبت منهم على دينه ولم يقس قلبه لطول أمد غيبة إمامه فهو معى فى درجتى يوم القيامة... .»[٣]

واعتبر الإمام علي عليه السلام أن **التفرق والشعور بانعدام الأمن الدائم وعدم الثبات على الدين وقسوة القلب** بانها من نتائج الخروج عن حصن الولاية المنيع.

إن قسوة القلب، هي مرض يصيب القلب ويؤدي إلى الانزلاق في براثن التعاسة الأبدية والشقاء. وعندما تستولى القساوة، على قلب الإنسان، تجعل الهمجية والبطش والفتك والظلم والإيذاء، صفة بارزة فيه إلى أن يتدحرج في الجحيم بسبب كثرة الذنوب والجور.

ويقول الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام:

---

١. **الطوسي، محمّد بن الحسن**، «الغيبة»، ص ٢٦٦.

٢. **المجلسي، محمّد باقر**، «بحار الأنوار»، ج ٥٣، ص ١٧٥؛ نقلا عن **الطبرسي، احمد بن علي**، «الإحتجاج على أهل اللّجاج»، ج ٢، ص ٤٩٧.

٣. **ابن بابويه، محمّد بن علي**، «كمال الدّين وتمام النعمة»، ج ١، ص ٣٠٣.

«مـا جفّـت الدّمـوع إلّا لقسـوة القلوب وما قسـت القلـوب إلّا لكثرة الذّنوب.»[١]

إن **قسوة القلوب**، تعد من أكبر العقوبات الإلهية التي ينالها الآثمون.

واعتبر الإمام محمد بن علي بن موسـى الرضا(عليه السلام) أن قسوة القلب، هي من نتائج الحيرة والضلال:

«إنّ هذا الأمر لا يكون إلّا إلى مائتى سنة أو ثلاثمائة سنة لقست القلوب ولرجع عامّة النّاس عن الإسـلام ولكن قالوا ما أسـرعه وما أقربه تألّفا لقلوب النّاس و تقريبا للفرج.»[٢]

الرهبنة الذاتية

إن التنصـل والاعتزال عن الحجـة الوجيهة لحضرة الحق، يـؤدي بالضرورة إلى غلبـة الأهواء على الآراء وظهور الحجج المتعـددة غير الوحيانية واضطراب العلاقات والتعامـلات الفردية والجماعية وبالتالي انفصـال التطبيق عن النظرية، مثلمـا أن الخلفاء والسـلاطين المنقطعين عن الكلام الوحيانـي، أخذوا يديرون شـؤون الملك والدولة، وأهل الفتوى المنفصلين عن الشـؤون الملكية (السياسية والاقتصادية والاجتماعية) انشغلوا بالأحكام الفردية والجزئية.

وتعطي الحجة الواحدة والثابتة والحقيقية طبعا والمنصبة من قبل الله المتعال، مكانها **للحجـج** المختلفة المبتلاة بالظن والاحتمال في تلقي الحقائق. إن الآراء المتشتتة والأحكام المتغيرة وكل طائفة وفرقة، تفترض شخصا، كقائد ليدير أمورها.

ولنصر الله منشـي، كاتب «كليلة ودمنة» المتمكـن، عبارة مذهلة في باب برزوية الطبيب. إن عباراته تصف أوضاع المسلمين في كل سنوات الغيبة:

وبحكـم هذه المقدمـات تبرمت من علم الطـب وانصرفت لطلب الدين،

---

١. **ابن بابويه، محمّد بن علي**، «علل الشّرائع»، ج ١، ص ٨١.

٢. **الكليني، محمّد بن يعقوب**، «الكافي»، ج ١، ص ٣٦٩.

ووجـدت حقا، طريقه طويلـة وبلا نهاية، فكلها مخـاوف ومضائق، فلا مرشـد يعيننى ولا دال يدلنى... والخـلاف بين أصحاب الأمم، كلما كان أظهـر، فالبعض سـار على طريق الإرث، وأمسـك بقـرن ضعيف فيما اسـتندت طائفة لجهة متابعة الملوك والخشـية علـى النفس، إلى ركن هزيل، وركنت جماعة من أجل حطام الدنيا ورفعة المنزلة بين الخلق، إلى ركن مهترئ واتكأت على عظام منخورة، فالخلاف بينها تصاعد بشـأن معرفـة الخالق وبدايـة الخلق ونهاية الأمر، وبات الـرأى أنه أنا مصيب والخصم مخطئ.

وبهـذه الفكرة، جبت صحراء التردد والحيـرة، وتأملت قليلا فى تقلباتها، ولم أجد طريقا نحـو الوجهة ولم أجد دلالة تدلنى على الطريق الصحيح والحق.[١]

وعلـى الرغم من أن جماعة أعرضت خطـأ ومن منطلق الحب والبغض، عن متابعة ومواكبة أوصياء الرسـول الأكرم صلى الله عليه وآله وتأدية بيعة الغدير، فجلبت لنفسـها وللاخرين المآسي، ما نعرفه وتعرفون.

إن اندلا ع الخلاف واتباع الأهواء وبالتالي، تشـرذم المسـلمين، هو النتيجة الأدنى لهذه الواقعة المؤلمة التي وقعت بعد رحيل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

وفتحت زاوية علـى النقيض من مطلب الإمام المعصوم عليه السلام، انحشـر فيها المسـلمون إلا فئة قليلة، وكلما مضى الزمان، تزايدت مسـافة البعد عن الحقائق أكثـر فاكثر، إلى أن حصل فـي الأرض وبين الناس، ضرب مـن **الرهبنة الذاتية**[٢]

---

١. **نصر الله منشي**، «كليلة ودمنة»، باب برزويه الطبيب، القسم الرابع.

٢. إن نهضة الإصلاح الديني أو البروتستانتية، تعد أهم الحركات الاجتماعية في عصر النهضة في أوروبا. إن عجز أرباب الكنيسـة عن التعاطي مع قضايا ومتطلبات العصر والساعة والفساد والضياع الذي اجتاح الجهاز الكنسي، أدى إلـى تبلور الحركات الإصلاحية والإحتجاجية. ويمكن اعتبـار حركة مارتن لوثر في ألمانيا، أحد أهم وأقوى هذه الحركات في القرنين ١٦ و ١٧ للميلاد.

وقد تحدى مارتن لوثر، بشكل مباشر سلطة الكنيسة والقساوسة، وأورد احتجاجات عديدة (٩٥ احتجاجا) على تعاليم وممارسات رجال الدين المسيحيين.

وتعني البروتسـتانتية في اللغة، الاحتجـاج ومذهب الاعتراض. وكان يتم في هـذه المجموعة من الاحتجاجات

والشعور بالاستغناء التام عن الرجوع إلى الحجج الإلهيين والدينيين.

وقد اختار كل فريق، إماما له كحجة، وسار خلفه، وكل فرد، وجد أنه صاحب تخيير وتشـــخيص، وحجز لنفســـه منصبا وموقعا وجاهزا لإرشاد الاخرين، لدرجة أن عـــدد الحجج وأصحاب الرأي بات في العصر الحاضر بعدد خطوط بصمات أنامـــل خلق الله؛ في حين لا يمكن اعتبار أيا منهم، أنه على الصراط المســـتقيم والمتوسل والمتمسك **بحبل الله المتين.**

لقـــد كان الحجـــج المنصبون مـــن الله المتعال، يحوزون الشـــؤون الحقيقية والوجوديـــة و**العصمة** و**العلم** و**مكلفين** بتطبيق الأوامـــر والأحكام والقضاء والحكم بين عباد الله، وكذلك توجيه وتســـيير شؤون الأمة الاسلامية وإقامة الصرح والنظام السياسي والاجتماعي القائم على الحقائق الدينية، وطبعا شريطة اهتمام الناس بهم ورجوعهم إليهم وعهدهم وبيعتهم لهم.

عن **ضريس الكناسى** قال:

سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول وعنده أناس من أصحابه:

«عجبـــت من قوم يتولّونـــا ويجعلونا أئمّة ويصفـــون أنّ طاعتنا مفترضة عليهم كطاعة رســـول الله ص ثمّ يكســـرون حجّتهم و يخصمون أنفسهم بضعـــف قلوبهم فينقصونا حقّنا ويعيبون ذلـــک على من أعطاه الله برهان حقّ معرفتنا والتّســـليم لأمرنا أ ترون أنّ الله تبارک وتعالى افترض طاعة أوليائه على عباده ثمّ يخفى عنهم أخبار السّماوات والأرض ويقطع عنهم موادّ العلم فيما يرد عليهم ممّا فيه قوام دينهم...»[1]

وفي هـــذه الرواية، يبين الإمام الباقر عليه السلام مقام حجية قول وفعل الإمام وتزوده

الإشارة إلى الاعتراضات وانتقاد التحريفات والثغرات والإنحرافات، ومعارضة القساوسة بشدة.

وتحول **مارتن لوثر** تدريجيا إلى الترويج لحذف الكنيســـة والقساوسة، بوصفهما وسيط التواصل مع اللّه، ومهد من خلال شعار خصوصية الدين وتقييد نطاق التدين في العلاقة بين المرء والله، لانفصال الدين عن السياسة، وساهم من خلال شـــعار «الرهبنة الذاتية» الذي كان يحفز على النزعة الفردية، في زوال مجمل قدســـية الكنيسة والنظام البابوي. ومن هنا، أصبح المذهب الدنيوي شيئا فشيئا، النظام الاجتماعي والثقافي للغرب ما بعد عصر النهضة.

١. **الكليني، محمّد بن يعقوب**، «الكافي»، ج ١، ص ٢٦١.

بسلاح العلم والعصمة ومهمته للرد على أسئلة السائلين، ويستشكل على تقاعس وضعف قلب الناس ويعتبر ذلك سببا لانقطاع الأحكام وسريان الأوامر والنواهي السماوية بين الناس.

إن التيار الثقافي للرهبنة الذاتية في أوروبا العصر الحديث، لم يبق محدودا. إن بسط النطاق الثقافي والحضاري للغرب، دفع البقية المتبقية من العناصر الثقافية والحضارية الشرقية والدينية، للزوال والانهيار وأصبح هو الحاكم المتحكم بلا منازع، إلى أن اجتاح الغرب، كمذهب، جميع ميادين الحياة الفكرية والثقافية والحضارية للعصر الحديث، وأصبح بمنزلة حجة وجيهة لجميع سكان الشرق والغرب.

إن «المذهب الإلحادي» (الفردانية)[1] و«الليبرالية[2] الثقافية والاجتماعية» و «الديمقراطية»،[3] كانت في جميع الأوجه، مروجا ومناديا للرهبنة الذاتية في جميع الساحات الثقافية والاجتاعية والسياسية لسكان العصر الحديث.

اسمحوا لي القول، أنه طالما لا يلتف الناس حول الحجة الإلهية، ويتجمعوا تحت رايته، ولا يضعوا الإمام المبين في مركزه وموقعه الحقيقي ولا يجعلوه **مبسوط اليد** في ممارسة الولاية والإمامة، فانه لن تتوفر مقدمات تكرير عقيدة الناس وعملهم من الشبهات والانحرافات وإقامة دعائم **الأمة الواحدة**.

التدين، جمر الغضا

وفي هكذا عصر فظيع، فان التدين يعد من أصعب الأعمال. إن الابتلاءات المريعة، هي كالأتون الملتهب والبوتقات الحارقة، التي تمحص الشوائب وتهدي الذهب الخالص إلى الصائغ. ولا سبيل اخر للحصول على الذهب الذي يليق لليد والعنق وصناعة المصوغات.

---

1. Individualism.

٢. Liberalism الحرية بقوانين خاصة= الإباحية.

إن ابن آدم مثله مثل الذهب، فهو يتلوث في تقلبات «الحياة بلا امام"، ويفقد قيمته وشفافيته.

«أُولَئِکَ کَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ»[1]

وفي مراتب القيامة، فان هذا التمحيص واعتماد الكفاءة والجدارة، تفعله نار جهنم مع الانسان الآثم.

وعلى الرغم من أن بوتقة الصائغ، قاسية وحارقة لكنها ضرورية لفصل الحجر عن الذهب، وعليه فان الأتون والبوتقة، هما انعكاس للتدبير واللطف والإهتمام بالذهب. ومن يملك عينا ثاقبة وقلبا متبصرا وصافيا، يرى جهنم على أنها انعكاس رحمة الله المتعال. ويقول الإمام علي عليه السلام:

«والّذی بعث محمّدا صلى الله عليه وآله بالنّبوّة واصطفاه علی جمیع البریّة ولکن بعد غیبة وحیرة فلا یثبت فیها علی دینه إلّا المخلصون المباشرون لروح الیقین الّذین أخذ الله عزّ وجلّ میثاقهم بولایتنا وکتب فی قلوبهم الإیمان وأیّدهم بروح منه.»[2]

وفي اهتياج الألم والوجع، وحينما، يرقد المريض في فراش المرض، ولا يقوى على النهوض من مكانه، فان جرح مبضع الحجامة وفصد الفصاد، بجانب الدواء المر واللاسع الذي يصفه الحكيم الخبير، يعافي المريض ويجعله سليما، لكي ينهض ويواصل حياته.

إن الورع والتقوى، والاخلاص وطهارة القلب والذهن والجسم من النجاسات الظاهرة والباطنة والتمسك والتوسل بالساحة القدسية العلوية والمهدوية، هي أدوية وعلاجات تنقذ المريض المبتلى في آخر الزمان، من الموت جاهلا.

ويشير الإمام الصادق عليه السلام إلى صعوبة التدين وحفظ الإيمان في عصر غيبة إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف ويقول:

---

١. سورة الأعراف، الآية ١٧٩.

٢. **ابن بابويه، محمّد بن علي**، «كمال الدّين وتمام النعمة»، ج ١، ص ٣٠٤.

«... إنّ لصاحب هذا الأمر غيبة المتمسّــک فيها بدينه كالخارط للقتاد ثمّ قال هكذا بيده. فأيّكم يمسک شوک القتاد بيده...»

ثمّ أطرق مليّا ثمّ قال:

«إن لصاحب هذا الأمر غيبة فليتّق الله عبد وليتمسّک بدينه.»[١]

إن هــذه الثياب الربيعيــة الخفيفة التي نرتديها، لا تقينــا من الأمطار والثلوج وعواصف الصحراء وبرد الشتاء، إذن يجب ارتداء لباس اخر.

وثمة حديث مشهور، نقلته معظم الكتب والمحافل عن الإمام الصادق عليه السلام:

«... لأحدهم أشــدّ بقيّــة على دينه من خرط القتاد فــى اللّيلة الظّلماء أو كالقابض على جمر الغضا...»[٢]

إن هكذا متدينين في آخر الزمان، يحوزون أعظم درجات التدين واليقين، من دون أن يلحقوا عن كثب، رسول الله صلى الله عليه وآله أو وصيه عليه السلام.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«يا علــىّ واعلم أنّ أعجب النّاس إيمانا وأعظمهم يقينا قوم يكونون فى آخر الزّمان لم يلحقوا النّبىّ وحجبتهم الحجّة فآمنوا بسواد على بياض.»[٣]

إن قيمة هذه الدرجة من التدين، تشبه الذهب المستخرج من البوتقة الملتهبة التــي يتراءى تلألؤها لناظر صاحب الإيمان واليقين في ظلمات الكذب والدجل. وربما بســبب هذه الدرجة من التألق والتلألؤ، وبعد تجربة واحتمال نوائب الدهر، يقول الإمام الصادق عليه السلام نقلا عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله:

«طوبــى لمــن أدرک قائم أهل بيتى وهو مقتد به قبــل قيامه يتولّى وليّه ويتبــرّأ من عدوّه ويتولّى الأئمّة الهادية مــن قبله أولئک رفقائى وذوو ودّى ومودّتى وأكرم أمّتى علىّ.»[٤]

---

١. **الكليني، محمّد بن يعقوب**، «الكافي»، ج ١، ص ٣٣٥.
٢. **الصفّار، محمّد بن حسن**، «بصائر الدرجات في فضائل آل محمّد صلى الله عليه وآله»، ج ١، ص ٨٤.
٣. **ابن بابويه، محمّد بن علي**، «كمال الدّين وتمام النعمة»، ج ١، ص ٢٨٨.
٤. **الطوسي، محمّد بن الحسن**، «الغيبة للطوسي»، ص ٤٥٦.

عبيد الدنيا

إن نسيان الوجهة النهائية والغفلة عن الأمر الذي اعتبر «افضل العبادة»[1] و «افضل الأعمال»،[2] يوجه عين الرأس وعين الدنيا، نحو الدنيا إلى أن تتحول عبادة الدنيا إلى دين وغاية جهد الإنسان الذي يسعى لكسب المال والمال.

وقال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله:

«يأتی علی الناس زمان همتهم بطونهم وشرفهم متاعهم وقبلتهم نساؤهم ودينهم دراهمهم ودنانيرهم أولئک شرار الخلق لا خلاق لهم عند الله.»[3]

وأليس أن الزاوية قد فتحت واتسعت في زمن بدء الفتور والحيرة، ومع الوقت لدرجة أن الدنيوية والمادية ومذهب المتعة، دفعت جميع التقاليد والآداب والطقوس إلى حافة الزوال والانهيار، وتحول الإنسان «عبيد الدنيا» إلى خادم خانع وتابع للدنيا الدنية؟

ويقدم الإمام الحسين عليه السلام هؤلاء الأناس هكذا:

«إنّ النّاس عبيد الدّنيا والدّين لعق علی ألسنتهم يحوطونه ما درّت معايشهم فإذا محّصوا بالبلاء قلّ الدّيّانون.»[4]

إن تحول الأناس إلى عبيد الدنيا، لا يعني عبادة الدنيا. بل التوحد مع الدنيا والإنسجام والتناغم مع الدنيا وبلوغ العبودية أمام الدنيا.

إن إنقاص قدر الدين إلى أداة للدنيا، هو بمنزلة جعل العالي في خدمة السفلي. ويجعل الناس، بطونهم وشهواتهم، في أعلى الدرجات وأهوائهم في أعلى المراتب.

إن قدر الناس هو بقدر أمانيهم. إن الناس، يعتبرون الدنيا التي يقول عنها

---

١. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أفضل العبادة انتظار الفرج.**» (**ابن بابويه، محمّد بن علي**، «كمال الدّين وتمام النعمة»، ج ١، ص ٢٨٧.)

٢. **إسماعيل بن محمّد، العجلوني الجراحي**، «كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على **ألسنة** الناس»، القاهرة، **مكتبة** القدسي، ١٣٥١هـ .ق.، ج ٢، ص ٣٩٩.

٣. **ابن شعبة الحراني، حسن بن علي**، «تحف العقول»، ص ٢٤٥.

الإمـــام علي عليه السلام لا تســـاوي لديه عفطة عنز، منتهى أحلامهـــم وأمانيهم، ولهذا السبب، فان قيمتهم هي بهذا القدر.

إن أدنـــى مطلب وحلـــم للمؤمن في هذه الدنيا، هـــو أن يكون جنديا لإمام الزمـــان عجل الله فرجه، مثلما أن الإمـــام الصادق عليه السلام يعتبر أن آماله تتمثل في أن يكون في صف من يخدمون إمام الزمان عجل الله فرجه، إذ يقول عليه السلام:

«**و لو أدركته لخدمته.**»[١]

التردد الذي هو تؤطئة الردة!

يعـــرّف اللغويون، **الردة** بالعودة عن الدين، ضرب من الانســـحاب عن الدين والرجوع إلى الكفر وانعدام الإيمان. إن الردة تنشـــأ على أرضية التردد والشك وأن الشبهة والارتياب، هما الثمرة المرة للحيرة والضلال.

وعندما تهب عاصفة الحيرة والتيه، تقذف بأتربة التردد والشبهة في عيون الرأس والقلب، فيعجز فيها مسافر الصحراء، عن تمييز الطريق السالك عن غيره، ويتعرض في منعطفات الطريق للقرصنة ويصبح فريسة للحيوانات المفترسة.

ويقوم **ابليس** وأشـــياعه من الإنس والجنّ، باستخدام جميع الحيل والمكائد، فيزين الدنيا وينمقها للرائي ويفقئ عيون البصيرة واليقين في القلب، ويرمي الانسان في يم الترديد والتشكيك بما كان الاقدمون يؤمنون ويوقنون به.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«**يأتى على الناس زمان همتهم بطونهم وشرفهم متاعهم وقبلتهم نساؤهم ودينهم دراهمهم ودنانيرهم أولئک شرار الخلق لا خلاق لهم عند الله.**»[٢]

إن غيبة حجة الله وانعدام فنار البحر المضئ في عتمة الليل، يصيب أي بحار

---

١. **ابن أبي زينب، محمّد بن إبراهيم**، «الغيبة للنعماني»، ص ٢٤٣.

٢. **إسماعيل بن محمّد، العجلوني الجراحي**، «كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على **ألسنة** الناس»، القاهرة، **مكتبة** القدسي، ١٣٥١هـ .ق.، ج ٢، ص ٣٩٩.

بالتيه والحيرة في البحر. والتجربة واليقين والصمود والاسترشـاد بنجوم السماء، وحده يرشد البحار ويأخذ به إلى بر الأمان.

وفي آخر الزمان، حيث يختفي سراج الهداية المنير، خلف غيوم الغيبة، يشك الناس بوجود هذا الفنار والمصباح المنير، ويمتنعون في خضم الوهم، عن التوجه نحوه ويبادون بالتالي.

ويقول الإمام علىعليه‌السلام:

«**إذا بقيت الأمّة حيارى وتدلّهت وأكثرت فى قولها إنّ الحجّة هالكة والإمامة باطلة فو ربّ علىّ إنّ حجّتها عليها قائمة ماشية فى طرقها داخلة فى دورها وقصورها جوّالة فى شرق هذه الأرض وغربها تسمع الكلام وتسلّم على الجماعة ترى ولا ترى.**»[1]

وعلى خلفية معرفة المعصومينعليهم‌السلام باحداث وتطورات عصر الغيبة والحيرة، ومن أجل زيادة اليقين وتدعيم أرجل المسلمين الواهنة والضعيفة والمرتجفة للوقوف عليها على جادة الإيمان، أخبروهم منذ سنوات من قبل، بعما يجري وحذروهم منها. إن الوقوع التدريجي للغيبة، حصل لهذا الغرض لكي يعتاد المسلمون عليها شيئا فشيئا ولكي لا يجدوا أنفسهم بغتة كالغريق الذي لا منقذ له.

إن زواج الإمام الحسن العسكريعليه‌السلام في الظروف الأمنية الخاصة التي فرضها الخلفاء الحاكمون في «سامراء» وولادة الإمام المهديعجل‌الله‌تعالى‌فرجه‌الشريف في الظروف الأمنية وفي ظل الخوف والخطر، وإخفاء هذا الطفل من ذرية الإمامة عن أعين الأغيار وبالتالي وقوع الغيبة الصغرى والارتباط عن طريق النواب الأربعة، كلها كانت مراحل حصلت إلى أن حصلت واقعة الغيبة الكبرى.

جماعة من الشّيعة منهم **علىّ بن بلال** و**أحمد بن هلال** و**محمّد بن معاوية بن حكيم** و**الحسن بن أيّوب بن نوح** فى خبر طويل مشهور قالوا جميعا:

اجتمعنا إلى أبى محمّد الحسن بن علىّعليه‌السلام نسأله عن الحجّة من بعده وفى

١. **ابن أبي زينب، محمّد بن إبراهيم**، «الغيبة للنعماني»، ص ١٤٤.

مجلسه عليه السلام أربعون رجلا. فقام إليه **عثمان بن سعيد بن عمرو العمرىّ** فقال له: **يا ابن رسول الله أريد أن أسألك عن أمر أنت أعلم به منّى!** فقال له: «**اجلس يا عثمان.**»

فقام مغضبا ليخرج فقال عليه السلام: «**لا يخرجنّ أحد.**» فلم يخرج منّا أحد إلى [أن] كان بعد ساعة فصاح عليه السلام بعثمان فقام على قدميه فقال عليه السلام: «**أخبركم بما جئتم؟**» قالوا: **نعم يا ابن رسول الله!** قال عليه السلام: «**جئتم تسألونّى عن الحجّة من بعدى.**» قالوا: **نعم.**

فإذا غلام كأنّه قطع قمر أشبه النّاس بأبى محمّد عليه السلام فقال عليه السلام: «**هذا إمامكم من بعدى وخليفتى عليكم أطيعوه ولا تتفرّقوا من بعدى فتهلكوا فى أديانكم...**»[1]

وجعل الإمام بذلك، أربعين من صفوة الشيعة، يقابلون إمام الزمان عجل الله فرجه وأتم الحجة على الجميع لكي يكون هناك شاهد بين الشيعة من بعده، وليزيل بذلك مجال التردد والإرتداد.

وإن كان بنو العباس الحاكمون، يمسكون في ذلك الزمان، بمهدي آخر الزمان عجل الله فرجه والذين كانوا على علم بمجيئه، لكانوا يقضون عليه، ويتزعزع بالتالي التيار الزلال لإمامة المعصومين عليهم السلام والشيعة وهداة طريق الهداية، ما كان يمهد للهلاك المبكر لجميع خلق العالم، لانه كان جليا لائمة الهدى عليهم السلام أن الأرض لن تبقى لآن من دون حجة.

ومع ذلك، وعلى مر الزمن، حلت الردة محل التردد. وفي ظل تدخل الشيطان، تحارب الناس معا، وظهر في كل زمان، من يدعي النيابة والإمامة، ودفع بجماعة في دوامة الغيبة، إلى الفناء والهلاك.

---

١. **الطوسي، محمّد بن الحسن**، «الغيبة للطوسي»، ص ٣٥٧.

الفصل الثالث:

رفع الشدائد

شرط رفع الشدائد

العودة إلى ذلك الطريق والجادة التي ابتعدنا عنها وتجنبناها!

وعلى مفترق طرق، مشـينا خطأ في الطريق الذي لم يجلب لنا سـوى الوزر والوبال والبعد والحرمان. وفي كل خطوة وأكثر من الخطوة التي سـبقتها، ابتعدنا أكثر فاكثر عن الجادة الرئيسـية إلـى أن وقعنا في فخ حرش محفوف بالمخاطر وملئ بالمصاعب والحيوانات اللاسعة والزاحفة والمفترسة الآكلة للانسان.

والسـبيل الوحيد للنجاة، يكمن في التوقف والعـودة والهروب حتى الوصول إلى النقطة الأولى؛ بيد أنه طالما لم يحصل درك ضرورة ذلك والشعور بالاضطرار وتمني العودة في روح الانسان، فان الأقدام المرهقة، لن ترفدنا للعودة.

إن من يتيه ويتحير في قفر ساخن، فانه يطلب الماء من أعماق روحه ويبحث عن كل كومة وحفرة طلبا للماء، لكن من لا يشـعر بالعطش أو يرى أن الماء في متناوله، فانه لن يتحمل عناء البحث عنه.

لقد زيّن الشيطان، الصحراء القاحلة والخالية من الماء والكلأ أي الدنيا الفانية، في أعين البشرية، فلم يحسبوا أنهم يعيشون ويسيرون في مجاهل الصحراء.

وهل أتيح لنا يوما، إحصاء وعدّ الحوادث والكوارث المريرة التي تحل بالشرية في أرجاء المعمورة كل نهار وليلة؟

– عدد السرقات التي تحدث كل يوم في أقاصي العالم؛

– عدد الإعتداءات والتعديات على حقوق الانسان وجسمه وروحه وعرضه في صخب التكنولوجيا العصرية؛

– عدد الجياع والمشردين في افريقيا واسيا وأوروبا و«امريكا» و... ؛

– عدد أعمال القتل والجرائم التي تحصل في جميع الأسابيع والشهور والسنين في كل حي ومدينة في أرجاء الأرض؛

– عدد الحروب المحلية والإقليمية والدولية التي اندلعت على مرّ السنين التي نتذكرها؛ فهل نحن قادرون على عدّ وإحصاء كل ذلك؟

– كمية المخدرات التي يتم تداولها وتعاطيها وعدد المدمنين والذين تركوا يواجهون مصيرهم على قارعة الطريق؛

– عدد السجون والسجناء والرجال والنساء الأبرياء والمذنبين القابعين في غياهب السجون؛

– عدد بيوت الدعارة وملايين الأجنة التي أجهضت من قصد أو دون قصد من قبل أمهاتهم؛

– عدد الدول الصغيرة والكبيرة التي تضيق الخناق على أفقر وأضعف شعوب العالم وتمتص دمائها؛

– مساحة الأراضي المحروقة والمياه الملوثة والأحراش والغابات المدمرة والكائنات التي انقرض نسلها من على سطح الأرض؛

– الأمراض العضال والمرضى الذين لا يملكون الحصول على الدواء والعلاج ويفارقون بالتالي الحياة في صمت وفي ليلة ظلماء و...

ونقرأ في فقرة من «دعاء العهد»:

«ظَهَرَ الْفَسَادُ فِی الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِی النّاسِ...»[1]

وإن تم إحصاء وحساب هذه العناوين، سيبدو لنا، هول الظلم وجسامة الظلمة وفداحة الغربة وجسامة العدل.

---

١. سورة الروم، الآية ٤١.

فـــأي مصلـــح وأي مجاهد قادر على إمحاء وإزالة جغرافيـــا هائلة من الدمار والضياع في السماء والأرض؟ ذلك الذي ردم على رؤوس البشرية والآدميين؟

وفي إطار المحاولات المستميتة، تتحدث الإذاعات في صبيحة كل يوم، عن اكتشـــاف الباحثين الجامعيين لعلاج بعض الأمـــراض. ومنينا النفس بإحصاءات وأرقام الإجراءات التي تزيد في كل لحظة من نطاق الإضطرابات والإرتباكات، من دون أن تزيل بقعة من هذه الإضطرابات من على وجه الأرض.

ورغم أنه من غير المتخيل في الواقع إيجاد سبيل للنجاة من كل هذه الأزمات، لكن أملنـــا الطفيف بالعلم والتكنولوجيا والرجال والنســـاء الذين يدعون الصلاح والإصلاح، يحول دون درك الإضطرار الشامل لآخر الزمان. ومن هنا، فاننا نتمنى من العناصر المسببة للأزمات والمحيطة بنا، أن تسهم في إرساء العلاج والسلامة. وكما يقول الشاعر (الايراني) **جامي**:

لمعالجة هذه الورشة الممتصة للدماء
لا علاج آت من المعنيين بها
وبما أنه لا أثر لوجودها
فان من يصل إلى الوجود، فهو آت من آخر
فالذات التى لا تولد من الوجود
متى تكون قادرة على منح الوجود
إن السحابة الجافة التى لا ماء فيها
متى يمكن أن تنطوى على الندواة والبلل[1]

إن كشـــف هـــذا المعنى، أي درك مراتب من الإضطـــرار والتنصل عن جميع العوامل المسببة للأزمات واللجوء إلى كاسر الأزمة الشهير للعصر، حضرة المصلح العام الذي غار كالماء في باطن الأرض، والان بقينا نحن والظمأ المزمن الفتاك.

عن **علىّ بن جعفر** عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام قال:

---

١. **جامي**، «هفت اورنج»، سبحة الأنوار.

قلت له: **ما تأويل هذه الآية:**

«قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ»[١]

قال عليه السلام:

«إذا فقدتم إمامكم فمن يأتيكم بإمام جديد.»[٢]

إن معرفة وتحديد مصدر الأزمات والمآزق، يشكل بحد ذاته، توطئة لمعرفة مصدر الخيرات والنجاة.

إن **الأزمة**[٢] تعني ارتباك واضطراب المسار العادي والطبيعي لحياة الانسان؛ أي حدوث خلل في العيش، أي الزلازل والفيضانات والعواصف والجفاف والتسونامي والأمراض المعدية والحروب الضروس التي تجلب الدمار والخراب للبشرية.

إن عبارات مثل: أزمة الهوية وأزمة البيئة والأزمة السياسية وأزمة الإدارة والأزمة الاقتصادية والأزمة العائلية وأخيرا الأزمة الناجمة عن التكنولوجيا، هي مفردات معروفة لجميع الباحثين في حقل العلوم الاجتماعية.

إن الأزمة ليست كارثة أو ركودا اقتصاديا أو تحطم طائرة على منطقة سكنية وموقع إقامة أسرة أو شركة أو مدينة مت. بل الأزمة، هي عنصر تهديد كبير، يتهدد البشرية والعالم والأمم على نطاق عالمي ويجر بوجودهم إلى حدود اللا ممكن.

إن البشرية تمرّ اليوم بأزمات، تدوم لأشهر وسنوات، ومستوى **تهديدها واسع، وشدة وقائعها هائلة** والضغط الذي تمارسه في الزمان، يجعل من المستحيل إصلاح الوضع بصورة صائبة وعادلة وشاملة.

إن المحدودية العلمية للبشرية في الظرف الزماني والمكاني المحدود (المستند إلى العلوم التجريبية المحضة) وفقدان القدرات اللازمة للإشراف الكلي على ظواهر العالم الشهودي والملكي وبالتالي أحداث عالمي البرزخ والقيامة (الأمر الذي هو أمامنا وفقا للمعتقدات الدينية)، لا يوفر كل الإمكانية اللازمة لمعالجة الأزمات المفتعلة متعددة الاوجه.

---

١. سورة الملک، الآية ٣٠.

2. Crisis.

إن الرؤية المادية في ظل حصر الحياة البشرية في ظرف العالم الفاني المحدود، علـى مدى القرون التي تجثم فيه العصرنة على الحياة المادية والثقافية للبشـرية، دفعت بالبشـرية إلى أن تغلق أعينها على مجموعة من العوامل الخفية والمؤثرة في الحيـاة المادية. وفي المقابـل، جعلتها تعجز عن درك أثر ونتيجة عملها في هذا العالم على الحياة الأخروية والبرزخية. وعليه، يمكن القول أن الأزمة قد اجتاحت البشرية في ثلاث ساحات:

- الساحة الدنيوية؛
- الساحة البرزخية؛
- وساحة القيامة.

وإن قمنـا في عصر غلبة العصرنة، بجمع العلوم التـي تمت تجربتها والقابلة للتجربة من قبل كل العلماء، سنجد باننا غير قادرين ولن نكون قادرين على إماطة اللثام عن كيفية حياة الانسان في العوالم البرزخية؛ لان هؤلاء العلماء في الظاهر، قد أغلقوا أعينهم على العوالم الخفية الماورائية ويتنكرون لوجود هذه العوالم وأثرها على العالم المادي.

وسر كل ذلك يكمن في تغير التفكير وطريقة النظرة العامة للانسان إلى الكون وتبديـل الحجج الإلهية إلـى حجج غير إلهية وحصر الحياة فـي جغرافيا العالم المادي.

وأمّا الخطوة الثانية

إن معرفـة الوجهة، تشـكل المأوى والملاذ الآمن الـذي يمكن أن يحتضننا وينجينـا من كل هذه الأزمات؛ وبالأحرى، فـان درك وفهم عمق ونطاق اضطرار البشـرية ومعرفة أن كاشـف ومزيل مجمل سـوء الفهم والعتمة من حياة البشرية، يمثلان الخطوتين الأوليتين، للخلاص والنجاة.

إن الانسـان الـذي يعيش العصـر الحاضر، يرى أنه والبيئـة التي تحيط به،

مصابان بالأمر ولا يشـــعر بالاضطرار، ويخيل له وفق ما تعلمه، أن معالجة شؤونه يكمن في العلم التجريبي والعالم التجريبي والأداة العصرية الحديثة التي استحضرها الغرب.

وهذا لا يعني الإقلاع عن هذه العلوم واللجوء إلى الأدوات والوســائل العائدة للتاريــخ المنصرم. أريد القول فحســب أن الهوة شاســعة بين الشــعور بالابتلاء بالمسألة وبين درك الاضطرار والأزمة والطريق المسدود.

إن مــن بقي وحيــدا عاجزا في صحراء قاحلة لا مــاء فيها ولا كلأ، ويتعرض لاشعة الشمس الحارقة، يفكر بالخلاص من هذا القفر المهلك والنجاة من الوضع المزري الذي يقاسيه، لا البقاء في القفر وخفض حرارته والبحث عن وسيلة تجعل الضب والعظاءة والعقرب قابل للأكل.

ويجوز «أكل الميتة» عند الضرورة والاضطرار؛ لكن شــريطة السعي للخروج من الاضطرار لا البقاء وإدامة أكل الميتة في الصحراء الحارقة.

ويجب البحث عن المشــكلة الرئيسية لا في العالم المحيط بنا، بل في ذاتنا وعقليتنا وفؤادنا وفكرنا.

إن تعاملنا مع أيام العزاء والفرح للمعصومين عليهم السلام كمناســبة وطقس، وتهميش كل ما أوصونا به من أجل الوجود والعيش في الحياة، يؤشر إلى الشعور باستغنائنا عن المصلح العام.

لقــد اعتدنا على العيش من دونه. وكذلك الذهاب مــن دونه، ونعتبر كل ما نملكه ونحوزه من قريب وبعيد كافيا، للذهاب والوصول ونيل السعادة.

لكن إلى أين نحن ذاهبون؟ والخســارة أننا نادرا ما نســأل أنفسنا، أي وجهة نقصد؟ وأي وجهة زينوها ونمقوها في أعيننا؟

إن تصــورا حفر في خاطرنا عن الدين والتدين والذهاب مع حجة الله والتوجه نحــو حجة الله، ونصر على هذا التصور. لقد دفعنا للتصور والظن. اســمحوا لي أن أقــول بحميمية، لقد جعلونا نصاب بالوهم؛ وهم الإيمان ووهم التدين، ووهم

العلم، ووهم معرفة ما هو خير وما هو شــرّ. لقد تبدلت أماكن ومواقع المفردات والمعاني. لقد أطلقنا تارة علــى منتهى الدنيوية وحب الدنيا، التدين، ونصر عليه ونعقد الأمل على الفلاح البعيد.

فالوهم، يشــبه السراب في مفازة قاحلة وحارقة وغير متناهية، في عين ظمآن عالق في القفر، ليس إلا.

إن فرط العطش، يظهر السراب، ماء في ناظر الظمئ ويعطيه اندفاعة للذهاب نحوه. فبحار من السراب، لا توفر قطرة من الماء، وطالما أن العطشان وصاحب الفم المحروق، لا يجرب السراب ويصبح أكثر عطشا وإرهاقا، فلن يؤمن به؛ لكن وا حسرتاه! فبعد اليأس والقنوط، يظن ثانية وثانية أن ثمة بحر من الماء في شرق القفر وغربه بمنتهى الظمأ وبالتالي تجربة الموت بشفاه أحرقها الظمأ.

إن الماء، هو مطلوب جســم الانســان وماء الولاية والحقيقة، مطلوب روحه وشــراب المعرفة، أمنية القلب الذي ينبض في صدر الانسان والسراب هو الوهم الذي يزخرفه ابليس أمام ناظر الانسان الظمآن.

إنظروا إلى الجغرافيا الشاســعة والفرق والنحل! وملايين البشــر الذين يطوفون حــول الفانوس الخافت للفرق، ويبذلون الغالي والنفيس من أجله. إنهم وفي إطار ظنهم ووهمهم بالبحث عن الحقيقة، يضحون بجل قدراتهم وما حباهم الله به من طاقات، للأوثان الزائفة والخادعة.

إن غياب الماء العذب المنعش للحياة، جعل كل ماء آسن وكدر وكل كذاب وأفاك، يبدوا كمخلّص ومنقد.

لقد كان الإمام المبين بمنزلة العين الغزيرة[1] والماء العذب[2] والشمس المضيئة[3]

---

١. وجــاء في الرواية الجامعة للإمام الرضا عليه السلام حول الإمام ومقام الإمامة: «... **العين الغزيرة و الغدير و الرّوضة.**» (**الكليني، محمّد بن يعقوب**، «الكافي»، ج ١، ص ٢٠٠.)

٢. وجــاء في الرواية الجامعة للإمام الرضــا عليه السلام حول الإمام ومقام الإمامة: «... **الإمام الماء العذب على الظّمإ.**» (**الكليني، محمّد بن يعقوب**، «الكافي»، ج ١، ص ٢٠٠.)

٣. وجاء في الرواية الجامعة للإمام الرضا عليه السلام حول الإمام ومقام الإمامة: «... **الشّمس المضيئة.**» (**الكليني، محمّد بن يعقوب**، «الكافي»، ج ١، ص ٢٠٠.)

والوالد الشفيق؛[١] إذ تخلينا عنه بجحود وتحولنا تبعا، لعتال لمارد الصحراء البشع:

وكما يقول الشاعر **مولانا**:

لا تغضب أيها الخواجة! فتندم
إجلس مجتمعا، وبغير ذلک تتبعثر
لا تكن طائشا ولا تمر حائرا عبر هذا العشب
لانه بغير ذلک، ستكون كالبوم الذى يقصد الخرائب
وإن تهربت من خراجات المدينة
ستصبح عتال غول الصحراء البشع
وإن تمردت على شمس الحمل
فستتحلل وتتحول إلى صقيع الشتاء
انطلق نحو ساحة الوغى وانخرط فى صفوف الأبطال
لانه بغير ذلک، ستصبح كالقط الذى يختفى فى الجراب
أيها الملک، كل قليلا من كراعات البقر
فان أكلت شبعا فى المرعى، ستكون حمارا للشيطان
كفّر عن نفسک إن أصبحت ذليلة لک
إن كنت كل الكفر، تصبح الإيمان كله
لا تعرض عن مرارة الصديق
لكى تحظى برعاية الزهرة المتفتحة الضاحكة
وعندما تغسل اليد والفم من الجشع والنهم
وتصبح صاحب السلطان وجليسه
توجه نحو شمس الحق تبريز
لكى تصبح سلطان ملک سليمان[٢]

---

١. وجاء في الرواية الجامعة للإمام الرضا عليه السلام حول الإمام ومقام الإمامة: «... **الوالد الشّـفيق.**» (**الكليني، محمّد بن يعقوب**، «الكافي»، ج ١، ص ٢٠٠.)

٢. **مولوي**، «ديوان شمس»، الغزل ٣١٧١.

إن النفس الأمارة، تقوم بالقرصنة في مناخ التمتع بملذات الدنيا وتجعل السراب، ماء عذبا في عين الآدمي.

إن **طلب التحرر** والنجاة، هو برعم متنام ينبثق من بين صقيع الشتاء القارس وبرودته، ويسخر من الكآبة ويبقى هادئا على الأوراق والثمار.

ويجب الإيمان بالصقيع والبرد والتجمد والإكتئاب وكذلك السراب في الصحراء القاحلة إلى أن يحصل التحرر والنجاة والتمني بـ**التحرر** ليرفد الأقدام بالخروج من الاضطرار...

إن المجاهدة والعمل الدؤوب لاكتشاف **الماء العذب** الذي يروي غليل الظمآن، هو ثمرة **طلب التحرر** والخلاص.

أينما كان الألم، فهناك يوجد الدواء
أينما كان الفقر، فهناك يحل المال والرزق
أينما كانت المشكلة، فهناك يحل الجواب
أينما كانت السفينة، فهناك يوجد الماء
ابحث قليلا عن الماء، وابحث عن العطش
لكي يفور الماء من أعلى وأسفل[١]

١. **مولوي**، «مثنوي معنوي»، الدفتر الثالث.

الهجرة نحو الإمام، شرط ضروري لمعرفة الإمام

وجعلت كل هذا توطئة لأقول:

إننا لا نتبع مهرولين أحدا!

لان الذى يدفعنا، هو الانسان الذى نحن واقعون فى وهقه[1]

وبمـــا أن الطلب الحقيقي لا يتبرعم في روح الآدمي، فيصبح الطالب المجاز ويبحث عن المجاز. طالب السراب ويبحث عن السراب!

إن حضرة الحق، هو مولى وسيد جميع سكان عالم الإمكان، يتكئ في مقام الاستغناء التام. أين العنقاء الجالسة على قمة جبل الاستغناء عن خلق العالم، من محتالي الدهر الذين يفكرون دوما في السر بالاصطياد والاستمتاع؟!

إن عنقاء (المحبة والعشق) لا تقع فريسة أحد أزل الفخ

لان لا شئ سوى الهواء يقع فى الفخ حيث تكون العنقاء[2]

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«مثل الامام مثل الكعبه إذ توتى و لاياتى.»[3]

إن هذه الرواية الشريفة، تلقي النظر من جهة، على مقام الإمام وولي الله على

---

١. **سعدي**، «ديوان الأشعار»، الغزليّات، الغزل ٤٣٧.

٢. **حافظ**، «ديوان الغزليّات»، الغزل ٧.

٣. **خـزّاز الرازي، علي بن محمّـد**، «كفاية الأثر في النصّ على الأئمّة الإثنى عشـر عليهم السلام»، قم، ١٤٠١هـ .ق.، ص ١٩٩.

الإطــلاق، إذ لم يرد في تكليفه، التوجه نحو الناس، وتلقي النظر من جهة أخرى على مقام استغناء الإمام وحاجة المأموم إليه.

إن الرســل والأنبياء هم الرســل المبعوثون من قبل الله المتعال، وبالتالي لابد لهم الذهاب نحو الناس لإبلاغهم الرســالة ودعوتهم وإرشادهم نحو حضرة الحق جل وعلا؛ وينقل الإمام الكاظم عليه السلام عن أبيه عليه السلام، أن رسول الله قال أثناء الوصية متوجها إلى الإمام علي عليه السلام:

«فإنّمــا مثلك فى الأمّة مثل الكعبــة نصبها الله علما وإنّما تؤتى من كلّ فجّ عميق وناد ســحيق وإنّما أنت العلم علم الهدى ونور الدّين وهو نور الله...»[1]

إن مقــام الولاية والإمامــة والوصاية هذا، ثابت حول جميع أوصياء رســول الله صلى الله عليه وآله، ولا يشمل ما سواهم.

ونقــل **ابن عبــاس** الذي مثّل الإمــام علي أمير المؤمنين عليه السلام فــي الحوار مع الخــوارج، كلامهم إلى الإمام عليه السلام. وكان أحد احتجاجات الخوارج يتمثل في أنه على الرغم من أن الإمام علي عليه السلام هو وصي الله لكنه أزال الوصاية وأهدرها.

وقال الإمام علي عليه السلام ردا على هذه الجماعة:

«فأنتــم كفرتــم وقدمتم علــىّ وأزلتم الأمر عنّى وليــس على الأوصياء الدّعــاء إلى أنفســهم إنّما يبعــث الله الأنبياء فيدعون إلى أنفســهم وأمّا الوصى فمدلول عليه مســتغن عن الدّعاء إلى نفسه وذلك لمن آمن بالله ورســوله ولقد قال الله جلّ ذكره: «وَلِلّهِ عَلَى النّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» فلو ترك النّاس الحجّ لم يكن البيت ليكفر بتركهم إيّاه ولكن كانــوا يكفرون بتركهم لأنّ الله تعالى قد نصبه لهم علما وكذلك نصبنى علما حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

---

١. **الشــريف الرضي، محمّد بن حســين**، «خصائص الأئمّة عليهم السلام» (خصائص أمير المؤمنين عليه السلام)، مشهد، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ .ق.، ص ٧٣.

يا عليّ أنت منّى بمنزله هارون من موسى وأنت منى بمنزله الكعبه تؤتى و لا تأتى...»[١]

فى طريق الوصول إلى ليلى، حيث المخاطر المحدقة

فان الشرط الأول للسير فيه، هو أن تكون مجنونا

وقصدت نقطة الحب، وأتوجه إليک محذرا بالا تخطئ

وبغير ذلک، فان نظرت سترى بانک خارج الدائرة والإطار[٢]

وعندما، يحدق المجنون الطالب، المنكر لذاته، بكمال المحبوب بفقر تام، يضع الدرع أرضا، ويتجه استسلاما ويبقى منتظرا. إنه يجلس على عتبة الانتظار والإخلاص إلى أن يحظى بجدارة النظر ويشهد سيماء المحبوب عندما تفتح الباب.

إن سبب طول أمد الغيبة، يعود في وجه ما إلى هذا الأمر. لقد اعتدنا على غيبة الإمام وجلسنا منتظرين إياه، ومنينا النفس بالسراب، وأصبنا بوهم الإيمان والتدين و...؛ لكننا **لا نقلع** عن ذاتنا ولا نذهب صوب الإمام.

إن **الهجرة صوب الإمام**، هي الشرط الضروري للقاء الإمام ورفع الغيبة وشروق شمس الحقيقة القدسية. فبأي ذخر وذخيرة نقرع باب الطلب والسعي للوصال؟

وفي باب تبيان مراتب ومصاديق **المهاجر في سبيل الله**، يصف الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام، **العارف بحجة الله** بالمهاجر ويقول:

«لا يقع اسم الهجرة على أحد إلّا بمعرفة الحجّة فى الأرض فمن عرفها وأقرّ بها فهو مهاجر ولا يقع اسم الاستضعاف على من بلغته الحجّة فسمعتها أذنه ووعاها قلبه.»[٣]

وثمة حديث طويل أورده **المجلسي** في «بحار الأنوار» عنوانه «حديث معرفة أمير المؤمنين بالنورانية»، يتطلب تفسير وبحث كل فقرة منه وقتا طويلا. وجاء

١. **الطبرسي، أحمد بن علي**، «الاحتجاج على أهل اللّجاج»، ج ١، ص ١٨٨.
٢. **حافظ**، «ديوان الغزليّات»، الغزل ٤٥٨.
٣. **الشريف الرضي، محمّد بن حسين**، «نهج البلاغة، صبحي صالح»، ص ٢٨٠، خطبة ١٨٩.

في أول فقرة منه:

سأل أبوذرّ الغفاريّ، سلمان الفارسيّ: يا أبا عبد الله ما معرفة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالنّورانيّة؟ قال: **يا جندب فامض بنا حتّى نسأله عن ذلک.** قال: فأتيناه فلم نجده قال فانتظرناه عليه السلام حتّى جاء .قال عليه السلام: **«ما جاء بكما؟»**

قالا: **جئناک يا أمير المؤمنين نسألک عن معرفتک بالنّورانيّة.**

قال عليه السلام:

«مرحبا بكما من وليّين متعاهدين لدينه لستما بمقصّرين لعمرى إنّ ذلک الواجب [واجب] على كلّ مؤمن و مؤمنة.»

ثمّ قال عليه السلام: **«يا سلمان و يا جندب.»**

قالا: **لبّيک يا أمير المؤمنين!**

قال عليه السلام:

«إنّه لا يستكمل أحد الإيمان حتّى يعرفنى كنه معرفتى بالنّورانيّة...»[1]

اسمحوا لي القول، باننا قد أصبنا لسنوات **بوهم الانتظار ووهم طلب معرفة الإمام.**

فأي انتظار يتحقق على أرض الواقع، عندما لم تتفتق برعمة الطلب والتمني في غصن الروح؟! وكيف يتحقق انتظارنا على أرض الواقع، عندما لا نغادر النفس ومانزال نقيم في حي حب الذات والتعنت والتشبث بالرأي؟!

إن **معرفة الإمام**، تتحقق عن طريق الإمام ورعاية الإمام ولطفه وعنايته. عندما يجد المؤمن والمؤمنة، يجلسون على جادة الانتظار طلبا لإمام العصر والزمان.

إن **ترحيب** الإمام، ينطوي في حد ذاته على مجمل التأييد والإشادة والتهنئة والقبول، والإجابة التي سيعطيها الإمام حتى يعرف لطالبه الذي يصبح في خدمة الإمام.

---

١. **المجلسي، محمّد باقر**، «بحارالانوار». ج ٢٦، ص ٤١ نقلا عن **العلوي، محمّد بن علي بن الحسين**، «المناقب (للعلوي)/ الكتاب العتيق»، قم، دليل ما، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ .ق.، ص ٦٧.

إن **أبوذر** و**سلمان الفارسي**، كانا مهاجرين في سبيل الله، قد أنكرا الذات وأقاما في جادة الانتظار وامتلآ بالإمام عليه السلام تحت عناية حضرة الإمام عليه السلام.

ويقول الشاعر **حافظ الشيرازي**:

لن أكف عن الطلب إلى أن أحصل على ما أطلب
إما أن يصل الجسم إلى الروح، أو تنفصل الروح عن الجسد
افتح تربتى بعد وفاتى وانظر
فان الدخان يتصاعد من الكفن، من نار باطنى
اظهر فان الخلق أصبحوا حيارى ومفتونين
تكلم ببنت شفة، فالصراخ يتصاعد من الرجال والنساء[1]

عن **محمّد بن مسلم** قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام: **أصلحک الله بلغنا شکواک وأشفقنا فلو أعلمتنا أو علّمتنا من؟** قال عليه السلام:

«إنّ عليّا عليه السلام كان عالما والعلم يتوارث فلا يهلک عالم إلّا بقى من بعده من يعلم مثل علمه أو ما شاء الله.»

قلت: **أ فيسع النّاس إذا مات العالم ألّا يعرفوا الّذى بعده؟** فقال عليه السلام:

«أمّا أهل هذه البلدة فلا يعنى المدينة وأمّا غيرها من البلدان فبقدر مسيرهم إنّ الله يقول وما كان المؤمنون لينفروا كافّة فلو لا نفر من كلّ فرقة منهم طائفة ليتفقّهوا فى الدّين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلّهم يحذرون.»

قلت: **أ رأيت من مات فى ذلک؟** فقال عليه السلام:

«هو بمنزلة من خرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثمّ يدركه الموت فقد وقع أجره على الله...»[2]

وقد أتمت الحجة على الطالب المهاجر النائل معرفة الإمام، ويعمل بالتكليف

---

١. **حافظ**، «ديوان الغزليّات»، الغزل ٢٣٣.
٢. **الكليني، محمّد بن يعقوب**، «الكافي»، ج ١، صص ٣٧٩-٣٨٠.

ويصل الوصال تحت عناية حضرة المحبوب. يميط الإمام الحجب ويروي الطالب المهاجر من كوثر الولاية بقدر الجهوزية والاستحقاق. ومن هنا، لا يفرق له إرجاء **الظهور الكلي** و**الظهور الجسدي العام** أو وقوع التاخير فيه.

قال **المفضّل بن عمر**: سمعت الصّادق جعفر بن محمّد عليه السلام يقول:

«من مات منتظرا لهذا الأمر كان كمن كان مع القائم فى فسطاطه لا بل كان كالضّارب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وآله بالسّيف.»[1]

إن عبارة «مع القائم» تشير إلى الشرف والفخر لكون المرء في معية الإمام. وأي نجاح وشرف أسمى من أن يجد مؤمنا شرف أن يكون في معية إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف؟!

لقد حصلت هذه المعية له وتحقق باطنها وحقيقتها؛ رغم أن المنتظر كان قد عاش في زمن الغيبة ورحل عن الدنيا قبل واقعة الظهور الكبرى الشريفة.

قلت لقد أوردت القلب والدين لک
وقدمت لک کل شئ أملکه
قال من أنت حتى تفعل أو لا تفعل
لقد کان أنا الذى جعلک متململا[2]

طلب الإمام، يعني أن تصبح منه

ويعتبر اللغويون أن جذر وأصل مفردة **الإمام**، هو **أمّ** وتعني القصد أو **القصد باهتمام خاص**، والإمام هو من يأتم به الناس ويكون دائما هدفا ومقصودا لحركة وسعي الاخرين.

ويرى معظم المفسرين أن الإمامة في «القرآن الكريم» متناغمة مع معناها

١. **ابن بابويه، محمّد بن علي**، «كمال الدّين وتمام النعمة»، ج ٢، ص ٣٣٨.
٢. **مولوي**، «ديوان شمس»، الرباعيات، الرباعى رقم ١٢٩٣.

اللغوي، وأن الإمام هو من يأتم به الناس ويتخذونه قدوة وأسوة لهم.[١]

وفي صلاة الجماعة، يقتدي المأموم بالإمام، ويشارك بأعضائه وجوارحه الظاهرة معه وبالتناسق معه في الركوع والسجود. فيقم معه ويجلس معه. وهذا الأمر يتحقق في إقامة صورة الصلاة؛ لكن حقيقة الصلاة، تتجسد في تبعية الساحات الثانية لوجود الانسان، أي النفس والروح، للإمام.

إن النداء السماوي «**حى على الصلاة**» في الأذان والإقامة، يتمثل في الدعوة للذهاب والإسراع نحو الإمام؛ لان الإمام هو ظهور موضوعية وحقيقة الصلاة، بينما الصلاة هي الصورة الخارجية للإمام، بحيث أن الإمام علي عليه السلام يقول:

«أنا صلاة المؤمن أنا حى على الصّلاة أنا حى على الفلاح أنا حى على خير العمل...»[٢]

وقال الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام في مكان اخر:

«... أنا صاحب الصلاة فى الحضر والسفر، بل نحن الصلاة والصيام والليالى والأيام والشهور والأعوام...»[٣]

وقال الإمام الصادق عليه السلام متوجها إلى **داوود بن كثير**:

«يا داود نحن الصّلاة فى كتاب الله عزّ وجلّ ونحن الزّكاة ونحن الصّيام ونحن الحجّ ونحن الشّهر الحرام ونحن البلد الحرام ونحن كعبة الله ونحن قبلة الله...»[٤]

إن حقيقة وباطن صلاة المؤمن، هي التبعية الخالصة لولاية الإمام وقبوله، وبالأحرى، التوحد مع الإمام في جميع الصفات الكمالية، بحيث أن ظاهر المؤمن

---

١. «ويكي فقه؛ موسوعة الفقه والأصول والعلوم الحوزوية» نقلا عن «جامع البيان»، ج ١، صص ٧٣٦-٧٣٧؛ «التبيان»، ج ٦، ص ٥٠٤؛ «التفسير الكبير»، ج ٢، ص ٤٤.

٢. **ابن شاذان القمي، أبو الفضل شاذان بن جبرئيل**، «الفضائل»، قم، رضي، الطبعة الثانية، ١٣٦٣ هـ .ش.، ص ٨٤.

٣. **حافظ البرسي، رجب بن محمّد**، «مشارق أنوار اليقين فى أسرار أمير المؤمنين عليه السلام»، بيروت، أعلمي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ .ق.، ص ٢٦١.

٤. **الاسترآبادي، علي**، «تأويل الآيات الظاهرة فى فضائل العترة الطاهرة»، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ .ق.، ص ٢١.

وباطنــه، يظهران تبعيته واتحاده مع إمامه لدرجة أن المحب يصبح المحبوب ذاته على إثر هذا القرب والتقرب.

فالقرب هو نقيض للبعد، أكان ماديا أو معنويا، والتقرب يعني الطلب والإقتراب والتوحد في ظل القيام بالأعمال.

وفي المثل، فان الحديد البارد والأســود وعلى إثر الإقتراب من الفرن، يتحول تدريجيا إلى ســاخن وحارق ومنصهر وبالتالي يصبح النار ذاتها؛ بحيث أن الناظر لا يميز بين الحديد والنار.

إن الحديد البارد والأســود لوجود الآدمــي، يتخذ لون الإمام ورائحته وصفاته على إثر التبعية ومواكبة الإمام، ويتصف بصفة أهل الإيمان، لذلك يطلق عليه اسم المؤمن وبما أن وجود الإمام في ظل العناية الالهية التامة، هو بمنأى عن أي عيب ونقص ظاهــري وباطني، فان المؤمن بالإمام، وفي ظل هذا الإمام، يكون مصونا من أي عيب ونقص وفي أمان من العذاب الاخروي.

ويظن أهل الظاهر أن أداء الصلاة هو تلاوة الآيات والأذكار وركوع وســجود الأعضاء والجوارح في الفجر والظهر والعشاء.

ويقول الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام:

«... ما أمروا إلّا بنبوّة محمّد صلى الله عليه وآله وهو الدّين الحنيفيّة المحمّديّة السّــمحة وقولــه يقيمون الصّلاة فمن أقــام ولايتى فقد أقام الصّلاة وإقامة ولايتى صعب مستصعب لا يحتمله إلّا ملک مقرّب أو نبىّ مرسل أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان...»[١]

إن إقامة الصلاة هي في الحقيقة إقامة **ولاية** الإمام عن طريق الاتصاف بصفات الإمــام، وكأن المصلي، أصبح الإمام ذاته، لانه يعيش ويفكر ويعمل وبالتالي لانه هو، فان جميع أعضائه وجوارحه ونفسه وعقله وفؤاده ينادي الإمام؛ رغم أنه ليس الإمام في الحقيقة.

---

١. **المجلسي، محمّد باقر**، «بحار الأنوار»، ج ٢٦، ص ٢.

وتم تبيان هذه الدلالة، في حديث «قرب النوافل» بشكل خاص.

إن حديث قرب النوافل، هو حديث قدسي قاله الله تعالى في المعراج للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله. ويتحدث هذا الحديث عن مكانة المؤمن عند الله وتقرب الانسان المؤمن إليه عن طريق تأدية الفرائض والنوافل (المستحبات).

«وما يتقرّب إليّ عبد من عبادى بشيء أحبّ إليّ ممّا افترضت عليه وإنّه ليتقرّب إليّ بالنّافلة حتّى أحبّه فإذا أحببته كنت إذا سمعه الّذى يسمع به وبصره الّذى يبصر به ولسانه الّذى ينطق به ويده الّتى يبطش بها إن دعانى أجبته وإن سألنى أعطيته.»[1]

وبالأحرى، فان الآثار الوجودية للمحب، تصبح المحبوب ذاته على إثر التقرب إلى المحبوب والتبعية له، وكل ما يقوم به مولاه، يقوم به هو، مثله مثل الحديد الأسود والبارد الموضوع بجوار النار، يتحول إلى نار ويحوز كل صفات النار.

ويقول الشاعر **مولانا:**

تخل عن الحيلة أيها العاشق، واصبح مجنونا مجنونا
واقتحم قلب النار، وكن فراشة فراشة
اجعل نفسك غريبا، ودمر البيت أيضا
وعندها تعال مع العشاق وامكث فى بيت واحد فى بيت واحد
اذهب واغسل الصدور سبع مرات من الأحقاد والضغينة
ومن ثم احتسى شراب العشق كأسا كأسا
يجب أن تصبح الروح كلها لكى تكون جديرا بالمحبوب
وإن توجهت نحو الولهان، يجب ان تصبح ولهانا ولهانا[2]

إن العيش في بيت واحد والتوحد واتحاد العاشق مع المعشوق، لكى تتحول كل الغربة إلى كل القرابة والترابط.

---

١. **الكليني، محمّد بن يعقوب**، «الكافي»، ج ٢، ص ٣٥٢.
٢. **مولوي**، «ديوان شمس»، الغزليّات، الغزل رقم ٢١٣١.

وأورد **فريد الدين عطار النيشـــابوري**، في كتاب «منطق الطير» وفي معرض تبيانه لمراتب معرفة المحبوب، قصة تمثيلية للفراشات وتوجهها صوب النار، ويقول:

التقت الفراشات ذات ليلة
وحلت فى مضيف بحثا عن الشمعة
وكانت تقول كلها يجب أن نتوحد
فمن يأتى بالخبر اليقين من المطلوب
وذهبت فراشة نحو القصر بعيدا
وفى فضاء القصر عثرت على نور يسطع من الشمعة
فعادت وفتحت دفترها
وبدأت وصفه بقدر فهمها

وتجمعت الفراشـــات الباحثة عن الشـــمعة، حول بعضها البعض وأرسلت من طرفها، رســـولا لاكتساب الخبر من الشمعة. وتوجهت فراشة من على بعد للتفرج على الشمعة، وأبلغت باقي الفراشات عن نورانية الشمعة، وشرعت بوصف الشمعة قدر فهمها لها.

وفـــي هذا الاجتماع، كانت ثمة فراشـــة ناقدة، لم تكـــن تعتبر هذا القدر من المعرفة حول الشـــمعة، مرتبة من المعرفة الحقيقة للشمعة، بالاحرى، لا تجد أن العلم الظاهر الذي يبين الصفات الظاهرة للشـــمعة، مقنعا، لذلك أوفدت فراشـــة أخرى لتكتسب أخبار الشمعة.

وجاءت فراشة أخرى لتجتاز النور
وأقحمت نفسها بالشمعة من بعيد
وأخذت تخفق جناحيها فى ظل المطلوب
وتغلبت الشمعة وأصبحت هى المغلوبة
فعادت لتنقل مجموعة من الأسرار
وأعطت شرحا عن وصال الشمعة

وقالت ناقدتها إن هذا لا يعد مؤشرا

فانت أعطيت العلامة والمؤشر على غرار التي سبقتك

واقتربت الفراشة الثانية من الشمعة أكثر وأحست بحرارتها. ووجدت قدرا من حرارة الشـــمعة في وجودها ومن ثم عادت؛ بيد أن ناقدة الفراشات، لا تعتبر هذا القـــدر من المعرفة كافيا ولا يعبر عـــن كمال الادراك عن الحقيقة. وعليه، أوفدت فراشة ثالثة نحو الشمعة:

وحلقت أخرى لتصبح فى حالة وله هائل

وجلست وهى تتراقص على النار

ومدت يد دركها إلى النار

وأضاعت نفسها وحشرت نفسها معها

وبما أن النار اشتعلت فيها من الرأس حتى القدم

احمرت أعضاؤها كالنار

وتذوب الفراشـــة بمجملها فـــي المطلوب؛ وكأنها أصبحـــت خاوية من كل حيثياتها الاعتبارية وانمحت وفنت في وجود حضرة المحبوب.

وتجد الفراشـــة الناقدة التي كانت تنظر من بعيد إلى احتضان الفراشة للشمع، أن الفراشـــة الثالثة، قد وصلت إلى حقيقة معرفة المحبوب، وتحولت إلى نور من الرأس إلى القدم؛ مثل الشمعة بالضبط.

ولان شاهدتها ناقدتها من بعد

بان جعلتها الشمعة كلونها من النور

قالت إن هذه الفراشة هى التى وحدها اقتحمت الميدان

ومن يدرى، فإنها تملك الخبر اليقين فحسب

ومن كان لا يملك الخبر ولا الأثر

فهى تملك الخبر من بين الجميع[1]

---

١. **عطّار**، «منطق الطير»، تبيان وادي الفقر، قصة الفراشات التي كانت تبحث عن خبر من مطلوبها.

إن تلك الفراشة التي خرجت عن طورها وأصيبت بالانشداه، اكتسبت الخبر وبلغت علين القين حول المحبوب؛ وكما جاء في حديث قرب النوافل، فان المحبوب الأزلي والأبدي، يتقرب إلى العبد المؤمن.

ويصبح المحبّ كالمحبوب على إثر التقرب، ويحوز تلك الصفات والكمالات.

وينسب أهل الظاهر، كل الاعتبار والمصداقية إلى الانتفاع بالمواهب الدنيوية، وينفقون من الله المتعال والنبي صلى الله عليه وآله والائمة عليهم السلام ليضيفوا من خلال بيع الدين بالدنيا، على وجاهتهم الظاهرة والدنيوية غير الراسخة؛ بيد أن أهل الباطن والمعرفة، يضعون ذاتهم وجل مصداقيتهم واعتبارهم بتصرف الإمام، وينهضون من موقعهم بوجود الإمام ومع الإمام.

إن الطائفة الأولى، تبدو سليمة في الظاهر، لكنها مريضة في الباطن، لا بل ميتة، وفي المقابل، فان الطائفة الثانية، سليمة في الباطن وراسخة؛ رغم أنها تبدو خاوية وفاقدة للاعتبار الظاهري المادي. إن هؤلاء، وفي الفقر ذاته، يعملون عملا جبارا، وإن عزموا، فانهم يتصرفون بالقدرة الولائية في جميع الشؤون الدنيوية المادية.

إن كل هذه البراعة، تتأتى من تساوق يحدث بين المحب والمحبوب.

وجاء في قصة «ليلى ومجنون» أن مجنون المسكين يصاب بمرض عضال؛ فيصف الطبيب له القيام بالفصد.

قال مجنون إنى لا أخشى المبضع
إن صبرى أكثر جسامة وضخامة من الجبل
لكنى وجودى ملئ بليلى
إن هذا الصدف، ملئ بصفات تلك الدرة
أخشى أيها الفصّاد إن قمت بفصدى
أن تدخل المبضع فى ليلى

إن ذلک العقل المالک للقلب السليم، يعلم
أن لا فرق بين ليلى وبينى[1]

إن البلاء الذي أصابنا، هو الإقلاع عن تقليد العشـــق. وحسبما يقول الشاعر **قاآني الشيرازي** في مدح الإمام علي عليه السلام:

ليس من تقليد العاشق، أن يعشق اثنين بقلب واحد
ويجب التخلى إما عن المحبوب أو عن الذات
ليس من المروءة التصرف كالقائدين جانوسيار وماهيار
أن تكون مناصرا ل دارا وتمنح القلب ل الاسكندر
إما أن تكون أسيرا لحكم المحبوب أو أسيرا للنفس
ومن القبح بمكان أن يكون للعروس، زوجين
أيها الأحقر من الكلب، إلى متى تطلب هذا الغزال من الحمار
وأن يكون الأسد جارا للثعلب النحيف
إن رجلا صاحب فتوة كعلى، يليق به تاج الملک
وتلک النساء اللواتى يملک ذراعين سروال وشعرية
وإن كانت النزل السماوية فى المتناول
فمن القبح أن ينظر المرء كالمرضى إلى الأشياء المزورة
وإن كنت على الصراط المستقيم، فالى متى البلاهة
أن تحدق فى الفحشاء وتعشق البغى والمنكر[2]

إن من دناءة طبعنا وبلاهتنا وقلوبنا المريضة أن نترك الصراط المســـتقيم، ونقع في غرام الغدرة الجبناء ونعشـــق التائهين والضالين عن السبيل، ونتخذ الخرزة بدلا من اللعل (العقيق الأحمر).

إن جملة البلاء والابتلاءات الطويلة التي انهالت على مدى الســـنين والقرون

---

١. **مولوي**، «مثنوي معنوي»، الدفتر الخامس، القسم ٧٩.
٢. **قاآني**، «قصائد»، القصيدة رقم ٢٨٤: في مديح الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

على المحبين والشيعة، معطوفة على القلب المريض الذي يحب اثنين في الوقت ذاته، وبقي محروما من جميع النعمات السماوية.

«لا يجتمع حبّنا وحبّ عدوّنا فى جوف إنسان – إنّ الله لم يجعل لرجل من قلبين فى جوفه – فيحبّ هذا ويبغض هذا فأمّا محبّنا فيخلص الحبّ لنا – كما يخلص الذّهب بالنّار لا كدر فيه – فمن أراد أن يعلم حبّنا فليمتحن قلبه – فإن شاركه فى حبّنا حبّ عدوّنا – فليس منّا ولسنا منه والله عدوّهم وجبرئيل وميكائيل والله عدوّ للكافرين.»[١]

وعلى إثر هذا الابتلاء والمرض المزمن، خرجنا من عهد الإمام والحجة عجل الله فرجه الشريف ودخلنا عهد أئمة الكفر والشرك والضلال، إلى أن اجتاحت القسوة مجمل صفحات القلب.

ويرى إمام الزمان عجل الله فرجه الشريف أن سر الغيبة واحتجاب الشيعة عن حضرة المحبوب، يكمن في **انفصام العهد**، وبالتالي فان الطريق للخروج من كل هذا الحرمان يكمن في العودة عن عهد الأغيار والدخول إلى العهد الإلهي الذي أخذ في عالم الذرّ.

وورد كلام مفصل في هذا المضمار، في كتاب «عالم الذرّ، ميقات عهد الإمام والعهد مع الإمام»،[٢] ونحيل القارئ الكريم لمطالعة هذا الكتاب.

وقال إمام الزمان عجل الله فرجه الشريف في توقيعه الشريف **للشيخ المفيد:**

«ولو أنّ أشياعنا – وفّقهم الله لطاعته – على اجتماع من القلوب فى الوفاء بالعهد عليهم لما تأخّر عنهم اليمن بلقائنا ولتعجّلت لهم السّعادة بمشاهدتنا على حقّ المعرفة وصدقها منهم بنا فما يحبسنا عنهم إلّا ما يتّصل بنا ممّا نكرهه ولا نؤثره منهم والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلاته على سيّدنا البشير النّذير محمّد وآله الطّاهرين وسلّم...»[٢]

---

١. **القمي، علي بن إبراهيم**، «تفسير القمي»، قم، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ .ق.، ج ٢، ص ١٧١.
٢. **الطبرسي، أحمد بن علي**، «الإحتجاج على أهل اللّجاج»، ج ٢، ص ٤٩٩.

الفصل الرابع:

المرابطة الإيمانية للمنتظرين

المرابطه، حراسة الإيمانية الثغور للمنتظرين

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

«إن لفـي كتاب الله آية ما عمل بهـا أحد قبلى و لا يعمل بها أحد بعدى آية النجوى...»[1]

ثم اشار عليه السلام الى «الآية ١٢ من سورة المجادلة»:

«يَـا أَيُّهَا الَّذِيـنَ آمَنُـوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُـولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَـدَىْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً...»

إن سبب اشـتهار هذه الآية المباركة بـ«آية النجوى» وشأن نزولها، يعود الى أن أثريـاء القـوم وكبارهم كانوا يأتون الى النبي الاكرم صلى الله عليه وآله ويجلسـون في مقدمة المجلس ويهمسـون في اذن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله للتفاخـر والتباهي وإظهار قربهم منه صلى الله عليه وآله.

ولم تكن هذه الجماعة تفسح المجال للفقراء للتحدث، وكانت تسترسل في الكلام والثرثرة، فتأخذ من وقت النبي الاكرم صلى الله عليه وآله وتضايقه إلى أن نزلت هذه الآية الكريمة.

ووضع الله تبارك وتعالى في هذه الآية، شرط التصدق بدرهم للنجوى في اذن رسول الله صلى الله عليه وآله. وأدى اعلان هذا الشرط، الى تفرق المضايقين والمزعجين، وطبقه

---

١. **الكوفي، فرات بن ابراهيم**، «تفسير فرات الكوفي»، طهران، الطبعة الاولى، ١٤١٠هـ .ق.، ص ٤٧٠.

رجل واحد فقط.

قال امير المؤمنين عليه السلام:

«...كان لى دينار فبعته بعشرة دراهم فجعلت أقدم [لها] بين يدى كل نجوة [نجوى] أناجيها النبى صلى الله عليه وآله درهما قال فنسخت [فى قوله] أ أشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات إلى قوله و الله خبير بما تعملون فلم يعمل بها أحد بعدى...»[١]

ومع نزول آية اخرى، نسخت آية النجوى وحكم التصدق للنجوى مع الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

«أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ»[٢]

إن **نزول آية النجوى وحكم الصدقة**، جاء لاختبار المدعين والمتمشدقين و**تعليما** لكي يعرف المسلمون أنه يجب عليهم الإنفاق من أجل ما يطلبونه ويحبونه، والأطرف ان يفهم اصحاب الذكاء والدهاء انه لا يجب منح شئ أكان حرفة أو علما أو أي شئ اخر للشخص غير المستعد للانفاق للوصول الى ما ينشده.

وكأن الله تعالى، العالم بكل أسرار ونوايا الخلق في العالم، كان يريد اعلان واثبات تفوق رجل يملك الجهوزية والبصيرة التامة وانفق من ماله لبلوغ العلم والمعرفة.

وفي تلك الفرصة وأثناء التصدق، طرح الامام علي عليه السلام عشرة اسئلة وتلقى عشرة أجوبة. أجوبة مختصرة على أسئلة قصيرة، اذ يمكن التحدث لساعات حول كل سؤال وجواب، بعبارة اخرى، استخراج عشر آيات من بين «آية النجوى» على لسان رسوال الله صلى الله عليه وآله.

---

١. **الكوفي، فرات بن ابراهيم**، «تفسير فرات الكوفي»، ص ٤٧٠.

٢. سورة المجادلة، الآية ١٣.

ولهذا أقول، إن كل هذه الآيات برزت بحيث أن كل جواب للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله كان بمنزلة آية سماوية، لان الله تعالى قال عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله:

«ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَ ما غَوي * وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوي * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحي»[1]

إن اعلان التدين والإيمان اللساني، لا يكفي لتحقق الايمان لدى الانسان وتمتع روحه بالقيم النورانية، إن **الجهاد** بالمال والنفس، يؤدي إلى نمو شتلة التدين وكشف الحقائق المستترة، وتنوير أرواح المؤمنين وبالتالي بسط وتعميق جغرافيا التدين على سطح الأرض، وأليس أن قبيلة الإيمان والسنن الالهية والأحكام السماوية انتشرت في أقاصي العالم عن طريق مجاهدة المجاهدين وأزالت عتمة الجهل عن صفحات قلوب عدة مئات الملايين من عباد الله؟ وحيثما كف المسلمون عن الجهاد، أصيبوا بالمذلة والمهانة واستولى الكفار على مالهم وأنفسهم.

إن الجهاد بالمال والنفس والجهوزية للجهاد، هو شرط الحياة المؤمنة ويمهد لبسط يد الامام لازالة الكفر والشرك والنفاق من على الأرض واقامة الدولة الكريمة.

ويقدم الله تبارك وتعالى في «سورة التوبة» الآيات ٤٤ إلى ٤٦ المؤمنين المتقين والحياة المؤمنة بطريقة مذهلة ويقول:

«لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يُجاهِدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللهُ عَليمٌ بِالْمُتَّقينَ»[2]

ولا يبقى المؤمنون المتقون بانتظار الحصول على اذن من رسول الله صلى الله عليه وآله للجهاد بالمال والنفس، وليسوا بحاجة لصدور الاذن، ولا يرون أن ثمة ضرورة لتقديم الدليل والبرهان وترك العالم، بالمال والنفس.

«إِنَّما يَسْتَأْذِنُكَ الَّذينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ ارْتابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ»[3]

---

١. سورة النجم، الآيات ٢-٤.
٢. سورة التوبة، الآية ٤٤.
٣. المصدر السابق، الآية ٤٥.

واستمرارا لذلك، يميط الله تعالى بالدليل والبرهان، اللثام عن الحد بين الايمان والنفاق ويقول:

«وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً...»[١]

مثل بني اسرائيل وبعد أن شهدوا عطاء النبي، وقفوا عند بوابات مدينة الظالمين، وبدلا من الجهاد مع **النبي موسى** عليه السلام توجهوا إليه قائلين:

«قالُوا يا مُوسى إِنّا لَنْ نَدْخُلَها أَبَداً ما دامُوا فِيها فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّکَ فَقاتِلا إِنّا هاهُنا قاعِدُونَ»[٢]

ونحن من حيث ندري أو لا ندري، ومن دون ابداء اهتمام جاد ونية للجهاد، ولو بالمال، منهمكون باعمالنا واشغالنا في مسار الإنتظار والاستعداد لاستقبال الامام المنتظر، وجالسون عبثا بانتظار المعجزة.

إن موضوع فتح بوابات مدينة الظالمين في عصر النبي موسى عليه السلام قد عطل. وحصل تيه بني اسرائيل في البرية لاربعين عاما، ورحل ذلك النبي الكريم عن الدنيا، الى ان حان عصر وصيه، **النبي يوشع بن نون** عليه السلام فلجأ بنو اسرائيل بعد التوبة للجهاد ودخلوا المدينة منتصرين بعد فتح البوابات ودحر العمالقة.

ويؤتى على ذكر جهوزية المنتظرين الإيمانية للجهاد والتمهيد، تحت عنوان «المرابطة».

---

١. سورة التوبة، الآية ٤٦.

٢. سورة المائدة، الآية ٢٤.

الرباط والمرابطة

يطلق اللغويون على الرباط بانه الشريط الذي تربط به القربة والدواب وغيرها، وفي الأصل، فان «الرباط» هو عبارة عن: **ربط الخيل فى نقطة معينة وتأسيس ثكنة لملازمة الثغور والتخوم، وجمعه رُبُط.**[1]

ويطلق الرباط والمرابطة إصطلاحا على ملازمة الثغور والحدود، والحراسة في أطراف البلاد والثغور، والرصد لمعرفة أحوال العدو وحماية البلاد من هجماته.[2]

وقدم المغفور له الموسوعي اللغوي الايراني **دهخدا** أوجه مختلفة ومعان عديدة عن هذه المفردة، بما في ذلك:

تطلق فى بلاد «المغرب» على الحصن الذى كان يحتفظ فيه بالجند والتجهيزات للحرب أو الغزوة. (عن المنجد)

وأطلق لاحقا على التكايا أو المسجد المنيع الذى يقيم فيه أناس، ليجهزوا أنفسهم للذود عن الاسلام ومن هنا، الآية الكريمة «صابِرُوا وَ رابِطُوا».[3]

ومن المعاني الشهيرة التي أوردها اللغويون لمفردة الرباط هي «الخانات» و«المنازل التي كانت تقام في الطرق».

---

١. **الجوهري، إسماعيل بن حمّاد**، «الصحاح في اللّغة» كلمة الرباط، ص ٣٢٣.
٢. **الحلّي، جعفر بن حسن**، «شرائع الاسلام»، ج ١، ص ٣٠٩.
٣. **دهخدا، علي اكبر**، «لغتنامه» (المعجم اللغوي).

الرباط والمرابطة في القرآن الكريم

ونعرج في كلامنا على الآية المباركة:

«يـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا اصْبِرُوا وَ صابِـرُوا وَ رابِطُوا وَ اتَّقُـوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»[١]

روى **العلامـة الطبرسـي** في «مجمع البيان» في تفسـير هـذه الآية و معنى «رابطوا»:

أصل الرباط ارتباط الخيل للعدو و الربط الشد ومنه قولهم ربط الله على قلبه بالصبر ثم استعمل فى كل مقيم فى ثغر يدفع عمن وراءه ممن أرادهم بسوء و الرباط أيضا اسم لما يشد به.[٢]

وأنسب مرادف لمفردة الرباط، هو «الثكنة» و«المعسكر».

والمرابطة في إصطلاح الفقهاء هي:

حراسة وملازمة ثغور وتخوم البلاد الاسلامية لحمايتها وقالوا:

إن المرابطة هى عمل مسـتحب، حتـى وإن كانت فى عصر غيبة الإمام، والذى لا يستطيع الذهاب، فالمستحب أن يرسل حصانه للمرابطين.[٣]

والخلاصـة أن المرابطة هي ضرب خاص من حراسـة ومراقبة جغرافيا البلاد الاسـلامية، في مقابل الأخطار التي تتهدد أمن المسـلمين أكان ذلك في وجود الإمام المعصوم عليه السلام أو غيبته.

وعلـى الرغم من التصور العام الذي يعرّف ويحـدد جغرافيا حياة الأمم على امتداد الكرة الأرضية، فان أي شـعب، في كل عصـر وزمان، يعيش في جغرافيا وسـاحات متداخلة، في حين ان الجغرافيا البرية والعقائدية والثقافية والسياسـية والاقتصاديـة، هي حلقات متداخلة مع بعضها البعـض، تحتضن الحياة المادية والمعنوية للناس.

---

١. سورة آل عمران، الآية ٢٠٠.

٢. **الطبرسي، فضل بن حسن**، «مجمع البيان»، ج ٢، ص ٤٨٢.

٣. «شرائع الاسلام»، ج ١-٢، ص ٣٠٩.

إن الجغرافيا البرية الشهيرة التي تحاط وتحاصر بالاسلاك الشائكة أو الحواجز الطبيعية، تعد طبقة فحسب من الساحات التي تحيط وتحاصر وتميز شعب عن شعب اخر. إن سكان ايران الاسلامية، يعيشون في جغرافيا تبلغ مساحتها مليون وستمائة وثمانية وأربعين ألف كيلومتر مربع.

وتتولى في أطراف وحوالي هذه المساحة، ثكنات ومعسكرات وقواعد برية وبحرية وجوية، مهمة حماية وحراسة هذه الجغرافيا، وتراقب دائما أي تهديد أو هجوم قد يقدم عليه الأجانب.

ويتم تحديد الحدود الجوية، بالتوازي مع الحدود المائية والبرية، بواسطة الرادارات والأنظمة الحديثة ومراقبتها بواسطة القوة الجوية. وجلي للجميع أن اللغة والثقافة وحتى السياسة والاقتصاد، تملك مساحة محددة، وتميز في ظل عرضها وطولها المحددين، شعبا عن الاخرين، ومثلما أن الجغرافيا البرية، معرضة للتهديد والهجوم الأجنبيين، فان سائر الساحات معرضة للغزو أيضا.

ففي ميدان، ينتشر الجنود والحراس المدججون بالأسلحة المادية والعسكرية، في الثكنات والمعسكرات، وفي ميدان اخر، ينتشر أصحاب الثقافة والادب والفن، بسلاح السينما والمسرح والشعر والموسيقى في الثكنات الثقافية، ويحرسون الثغور الأدبية والثقافية والفنية.

ويضفي كبار العلماء والمفكرون، في الثكنات العقائدية والنظرية المناعة والحصانة على الشعوب لمواجهة الغزو الايديولوجي الأجنبي، ويسعون في ضوء الرصد والمراقبة الخاصتين، لإحباط أثر ومفعول الغزو وافشال الهجمات.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«ما من مؤمن إلا و قد وكل الله به أربعة:

١. شيطانا يغويه يريد أن يضله؛

٢. و كافرا يغتاله؛

٣. و مؤمنا يحسده و هو أشدهم عليه؛

٤. و منافقا يتتبع عثراته.»[١]

وليســت قلائل الشعوب التي فقدت مصداقيتها الحقيقية والرئيسية وانصهرت فــي الميدان الثقافي الأجنبي وإثر الهجمات الثقافيــة والعقائدية للأجانب، رغم حصانتها الجغرافية البرية التامة، وفي المقابل ثمة شعوب، حافظت ودافعت بقوة عــن جغرافياها الثقافية والوطنية رغم تقلبات وتغيرات جميع ســاحات جغرافياها البرية والبحرية.

إنها وبعد كل غزو عســكري، وإقرار السلام والأمن، إهتمت مرة اخرى باعادة البنــاء والإنماء، وإعمار الدمار وإصلاح الأمور المضطربة، واســتعادت عظمتها وكبريائها السابقين.

إن رفعــة وعظمة الشــعوب، مرتبطان برفعة جغرافياهــا الثقافية قبل أن تكون مترتبطــة بعــرض وطول الجغرافيا البريــة، وهو الذي يضفي الهويــة والمغزى على الشعوب، ويميزها عن الاخرين.

إن المعلميــن الحقيقيين، يعدون دائما، حــراس وحماة هذه الجغرافيا، هؤلاء الذين ينتشرون بوعي وتيقظ في المعســكرات والثكنات الثقافية، ويقومون برصد ومراقبــة أي تهديــد لصده ودحره، ويوفرون أثناء أي هجوم يشــنه فيروس ثقافي، الحصانــة والمناعة للجماهير، ويعملون بعد دحر وصــد الهجمات، على إعادة التأهيل وتعويض الأضرار والصدمات.

ويجب القول بتجرؤ أن المعســكرات والثكنات الثقافية، تحظى باهمية أكثر بكثير من المعسكرات والثكنات العسكرية.

وقال الامام المعصوم عليه السلام :

«يا ابن النعمان إنا أهل بيت لا يزال الشــيطان يدخل فينا من ليس منا و لا من أهل ديننا فإذا رفعه و نظر إليه الناس أمره الشــيطان فيكذب علينا

---

١. **الكليني، محمّد بن يعقوب**، «الكافي»، طهران، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ .ق.، ج ٢، ص ٢٥١.

و كلما ذهب واحد جاء آخر.»[1]

إن بث الشـبهات وتحريف وتزوير كلام المعصوم عليه السلام، يعد من الآفات التي أدت على مدى ألف ونيف عام، وعن طريق الشيطان وأذنابه، إلى الإنحراف عن الدين الحقيقي وإنتاج أنواع الفرق والنحل بين المسلمين.

المرابطة، إنتظار إيمانية

روي فـي تفسـير الآية «**يا أيّها الّذيـن آمنوا اصبروا و صابـروا و رابطوا**...» من «سـورة آل‌عمران»، عن بريد بن معاوية العجليّ عـن أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام أنه قال:

«**اصبروا على أداء الفرائض و صابروا عدوّكم و رابطوا إمامكم المنتظر.**»[2]

واعتبر الامام الباقر عليه السلام المرابطة المؤمنة بانها الإنتظار الايماني.

وقد ربط الامام من خلال توسيع هذا المعنى، مجمل الجغرافيا الترابية والثقافية والعقائدية وحتى السياسـية للمؤمنين بـ«المرابطة المؤمنة لمنتظري الإمام»، خيط مسبحة رائعة يربط جميع حبات الحياة المادية والثقافية للمؤمنين ببعضها البعض ويضفي عليها معنوية.

وكما ذكرنا سـابقا، فان صاحب تفسـير «مجمع البيان» قد عرف ووصف المرابطـة في ثلاثة مسـتويات، المرابطة فـي **الثغور**، و**إعـداد الأدوات** و**المركبات** وبالتالي **الجهوزية** و**الاستعداد للقتال** الشامل ضد العدو.

وبذلك، فان أيا من سـكان هذا الوطن الاسلامي، وحسب موهبته وإمكانيته ونجاحه، يجب أن يكون بالضرورة:

– أن يرابط في أحد الحدود المذكورة (الترابية والعقائدية والسياسية والاقتصادية و...)؛

---

۱. **إبن شعبة الحراني، حسن بن علي**، «تحف العقول»، قم، الطبعة الثانية، ۱۳۶۳هـ .ش.، ص ۳۰۹.

۲. **ابن أبي زينب النعماني، محمّد بن ابراهيم**، «الغيبة للنعماني»، طهران، الطبعة الاولي، ۱۳۹۷هـ .ق.، ص ۲۷.

– أن يقوم بتوفير الأدوات والوسائل والمعدات اللازمة لرصد الأعداء وتحديد المنعطفات والنقاط الصعبة؛

– أن يكون جاهزا بكل ما أوتي من قوة للقتال وصد الهجمات.

وكلهم يجب أن يحددوا ويعرفوا مهمتهم على مسار المرابطة مع الإمام المنتظر.

وكما أن الوجه التاريخي لحياة الأمم يتغير مع مضي الزمن، وتحل الدبابة والبندقية والمدرعة محل السيف والحصان والبغل والعربة، ففي ساحة أخرى، يتعين على المجاهدين تزويد أنفسهم بالسلاح العصري في الميدان الثقافي – العقائدي، وتحديد مصاديق الكفر والشرك والنفاق والزندقة في عصرهم وظروفهم التاريخية، لينهضوا في مواجهة الغزو الثقافي والعقائدي للأجانب.

واستنادا إلى «الآيات ٤٤–٤٦ لسورة التوبة»، فان الجهوزية للجهاد بالمال والنفس وإعداد العدة والعديد للدخول الى الميدان والساحة، يعد من علامات الايمان بالله واليوم الاخر، فيما يعد عدم الجهوزية أحد مؤشرات أصحاب القلوب المنافقة المنزلقة في براثن الشك والريب والحيرة والتية. إن هذه الواقعة، توفر في بيداء الشك والريب، الجهوزية اللازمة لكي يوقفهم الله عند حدهم، ويعتبرهم في جماعة القاعدين والمتكاسلين.

«وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ»[1]

إن غياب الايمان بالله واليوم الاخر، يعيقهم عن العمل لإعداد العدة والعديد للجهاد ويجعلهم بالضرورة في عداد القاعدين لدرجة أنهم خسروا وسام «المجاهد في سبيل الله» الحافل بالفخر والعزة.

ولهذا السبب، فان حزب القاعدين، يبقى في عصر الغيبة والغفلة، خارج دائرة **المنتظرين الحقيقيين**. والسبب معروف: فهم لم يرابطوا في المعسكرات والثكنات،

١. سورة التوبة، الآية ٤٦.

بل الهوا أنفسهم في زحمة الأوهام والخيلاء، بالظروف التاريخية الماضية (القرون السالفة) والتلاعب بالألفاظ والمصطلحات العقيمة والمهترئة في العصر الحاضر وبين الأناس المعاصرين.

كم هي الفترة زمنية الدنيا للمرابطة؟

وكان التأهب العسكري في زمن التهديد واحتمال حصول الغزو المعادي، سائدا ورائجا منذ القديم وفي جميع العصور والدهور. وفي عصرنا وزماننا هذا، يتم بعد رصد القوى الإستخباراتية والجواسيس، الإعلان عن حالة التأهب العسكري في حالة إحتمال وقوع هجوم معاد، ويتم الحفاظ على هذا التأهب إلى أن يزول الخطر.

ويقول صاحب «تذكرة الفقهاء» حول الفترة الزمنية الدنيا لصدق المرابطة:

إن أقل فترة زمنية لصدق الرباط والمرابطة، هي ثلاثة أيام، وأقصاها أربعون يوما، وإن تم الإنتشار عند الثغور والتخوم لاكثر من أربعين يوما، فيعد ذلك جهادا... لكن احمد بن حنبل قال، إن الفترة الزمنية الدنيا لا حدود لها.[١]

ونقلت أحاديث عديدة عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله حول ثواب المرابطة، إذ قال صلى الله عليه وآله:

«رباط ليلة فى سبيل الله خير من صيام شهر...»[٢]

و عنه صلى الله عليه وآله:

«حرس ليلة فى سبيل الله عزّ و جلّ أفضل من ألف ليلة يقام ليلها و يصام نهارها.»[٣]

---

١. **الحلي، حسن بن يوسف**، «تذكرة الفقهاء»، ج ٩، ص ٤٥١.
٢. **الشعيري، محمّد بن محمّد**، «جامع الأخبار»، النجف الاشرف، الطبعة الاولى، ص ٨٣.
٣. **بايندە، ابو القاسم**، «نهج الفصاحه»، طهران، الطبعة الرابعة، ١٣٨٢هـ .ش.، ص ٤٣٩.

و عنه صلى الله عليه وآله:

«كلّ ميت يختم على عمله الا المرابط فى سبيل الله فانه ينمو له عمله الى يوم القيامة و يؤمن من فتان القبر.»[١]

لكن ما يجعل موضوع المرابطة خاصا ويضفي عليه مغزى ومفهوما خاصين في عصر غيبة الامام عجل الله فرجه هو المرابطة الدائمة للمؤمنين في عصر الغيبة.

عن **أبي عبد الله الجعفي** قال: قال لي أبو جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام: **«كم الرّباط عندكم؟»**

قلت: **أربعون.** قال عليه السلام:

«لكن رباطنا رباط الدّهر و من ارتبط فينا دابّة كان له وزنها و وزن وزنها ما كانت عنده و من ارتبط فينا سلاحا كان له وزنه ما كان عنده لا تجزعوا من مرّة و لا من مرّتين و لا من ثلاث و لا من أربع...»[٢]

ومن هنا يتضح أن المرابطة الإيمانية للمنتظرين، تعد من ضروريات الدين. وعليه، فمن أجل فهم الامر الضروري للدين، فاننا لسنا بحاجة إلى تقديم أي دليل وبرهان، بحيث أن حراسة الجغرافيا الترابية وكما يقال الوطن الأم، هي امر مقبول وبلا شرط لدى جميع العقلاء وبين جميع الأمم والشعوب.

و روي عن **ابن طيفور المتطبّب** قال: سألني أبو الحسن عليه السلام:

«أىّ شيء تركب؟»

قلت: **حمارا.**

فقال: **«بكم ابتعته؟»**

قلت: **بثلاثة عشر دينارا.**

فقال عليه السلام:

«إنّ هذا هو السّرف أن تشترى حمارا بثلاثة عشر دينارا و تدع برذونا.»

---

١. **الموسوي الاصفهاني، محمّد تقي**، «مكيال المكارم»، قم، طباعة مسجد جمكران المقدّس ، ١٣٨٥هـ .ش.، ج ٢، ص ٤٨٦.

٢. **الكليني، محمّد بن يعقوب**، «الكافي»، طهران، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ .ق.، ج ٨، ص ٣٨١.

قلت: **يا سيّدى إنّ مئونة البرذون أكثر من مئونة الحمار.**

فقال عليه السلام:

«إنّ الّذى يمون الحمار يمون البرذون أ ما علمت أنّ من ارتبط دابّة متوقّعا به أمرنا و يغيظ به عدوّنا و هو منسوب إلينا أدرّ الله رزقه و شرح صدره و بلّغه أمله و كان عونا على حوائجه.»[١]

إن المرابطة الإيمانية للمنتظرين حتى وقت ظهور الإمام عجل الله فرجه الشريف مستمرة بلا توقف وأن ترك الثكنة والمعسكر، غير مقبول على الإطلاق. وسوى ذلك، فانه يستشف من فحوى كلام الإمام المعصوم عليه السلام إن تكريم هذا الأمر الضروري، هو بمنزلة واجب عين وواجب التنفيذ بالنسبة لكل المؤمنين حتى موقت خروج الإمام عجل الله فرجه الشريف.

وبلا ريب، فان أجدر الأفراد مقاما هو المرابط في ثكنة المنتظرين باذن الله تعالى لظهور حضرة صاحب الامر عجل الله فرجه الشريف، وأن المرابطين من بعده، هم المنتظرون المجاهدون الذين يرابطون بكامل عدتهم في الثكنات للجهاد بالأموال والانفس.

روى **النعماني** عن **أبي بصير** قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

«ليعدن أحدكم لخروج القائم و لو سهما فإن الله تعالى إذا علم ذلك من نيته رجوت لأن ينسئ فى عمره حتى يدركه فيكون من أعوانه و أنصاره.»[٢]

ويتضح أن موضوع تحضير العتاد والتجهيزات اللازمة للمرابطة والمجاهدة، هو واجب عين، أي أنه يجب إيجاد تلك الجهوزية التي إن ظهر الامام وأراد الخروج، أن يرى المؤمنين وهم مرابطون في الثكنات و المعسكرات، لا أن يبحث الشيعة بعد أن ينفخ في صور الحرب، عن السهم والسنان والمركب.

وفي هذا المجال، فان كل واحد من المؤمنين وحسب قدراته وماله وإمكاناته وبالتالي منصبه السياسي والاجتماعي، يحظى بمرتبة خاصة في المرابطة

---

١. المصدر السابق، ج ٦، ص ٥٣٥.

٢. **الكليني، محمّد بن يعقوب**، «الكافي»، طهران، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ .ق.، ج ٦، ص ٥٣٥.

والانتظـــار، وأن الأدوات القابلـــة للإعداد والتحضير للمرابط، تختلف حســـب الجهوزية والقدرات والإمكانيات.

وقد يكون أحدهم يملك مركبا واحدا فقط للمرابطة في ثكنة المنتظرين، وفي المقابل، هناك من يقدر على إعداد وتحضير عشرة مراكب. إن واجب كل انسان، يتناقص ويزداد بما يتناسب وجهوزيته، ولا مفر من ذلك.

إن مـــن يملك إمكانية تعليم وتعلم واحد من المنتظرين، فان الواجب الملقى عليه هو هذا المقدار، والاخر الذي وجد إمكانية نشر المعارف وتعليم فريق كبير من الشيعة، فان تكليفه يتوسع نطاقا.

ولا شـــك أنه يجب السعي والعمل بالمسار الممدوح والمشروع لزيادة السعة والجهوزيـــة وتوفير المزيد من الإمكانيات والأدوات اللازمـــة. إن العاجزين الذين اختـــاروا العزلة والمحرومين من أي إمكانية، يرفعون في ثكنة الدعاء والتضرع، اليد للإبتهال والدعاء، نصرة لإمام عصرهم وزمانهم. إن من وهبه الله تعالى من منطلق لطفه وكرمه أو من منطلق الإبتلاء والإختبار، إمكانات واسعة ولسانا فصيحا وقلما سلســـلا، ليس معذورا، أن يتوانى عن بذل كل تلك الممتلكات على طريق نشـــر المعارف المهدوية وتنشئة المنتظرين وتهيئة الأدوات والأعمال التي تغيظ وتغضب أعداء آل محمد عليهم السلام. وفي ظل هذه الظروف فحســـب يستطيع المرء إحياء درك عصر الظهور ولقاء الإمام في قلبه، والتوقع أن ينخرط في حشد أنصار الإمام. وقد ورد فـــي كلام المعصوم عليه السلام بصورة جلية أن المؤمل أن يكون المرابطون في وقت الغيبة، ضمن فريق المدركين لحضرة الامام والمنتصرين له.

وفي وراية كريمة، بين الإمام الكاظم عليه السلام أربعة شروط:

١. الإحتفاظ بمركب [أدواتي] في حالة المرابطة الإيمانية؛

٢. إنتظار أمر الظهور الشريف؛

٣. إغاظـــة أعداء آل محمـــد عليهم السلام [من خلال التحضيـــرات التي أعدت في المرابطة]؛

٤. الإنتساب إلى ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله [أن يكون المرء من شيعة هذه الذرية]، ليضمن من خلالها أربع صلات:

١. ديمومة الرزق وما هو مقرر؛

٢. منح إنشراح الصدر؛

٣. تحقق الآمال والتمنيات؛

٤. أن ينصره الله المتعال ويقضي حاجاته.

إن قول الإمام المعصوم عليه السلام هو الصدق والحكم وسيتحقق ويحصل باذن الله.

وكل هذا هو في كلام واحد «إستراتيجية الإنتظار» التي تم التطرق إليها في كتاب منفصل، فان تم إدراج الخطوط الإستراتيجية الأربعة المذكورة أعلاه على جدول أعمال المؤسسات والمنظمات والوزارات والحكومات الاسلامية الشيعية، فان الاستراتيجية التي ينشدها الأئمة المعصومون عليهم السلام ستوضع موضع التنفيذ، وستجد جموع سكان هذا الوطن الشيعي نفسها، في ثكنة المرابطين.

ويمكن لكل شخص إعتباري وطبيعي، تعريف وتبيان حالات بما يتناسب مع موقعه ومنصبه وإمكاناته.

إن إكتساب الأدوات والإمكانات والمراكب بالنسبة لعسكري ما، بحيث يتحقق أمر الإنتظار الإيماني وحراسة وحماية الجغرافيا الترابية للمؤمنين، وفي ظل ذلك، حماية أرواح وأعراض الشعية من الإعتداء، سيان مع إكتساب الأدوات والإمكانات بالنسبة لطبيب ووزارة على صلة بالصحة والسلامة لحماية صحة المؤمنين وأرواحهم وجلب المناعة لهم.

ومن هذا المنطلق، فان هذا الأمر ثابت وواجب التنفيذ بالنسبة للمزارعين والمؤسسات والوزارات التي توفر الخبز والطعام للمؤمنين والقائمين على بناء وتخطيط المدن والمهندسين المعماريين، والمعلمين والسياسيين و... بحيث أن كل واحد منهم وحسب منصبه وموقعه، يساهم في توفير جانب من الحياة

السليمة الفردية والاجتماعية للشيعة المنتظرين

إن هذه المناسبات والإجراءات الثقافية والسياسية والاقتصادية و... يجب تنظيمها بطريقة تفضي إلى إغاظة وإخافة أعداء آل محمد عليهم السلام والتغاضي بالتالي عن فكرة الإعتداء والتطاول على حرمة المؤمنين. وفي هذا المسار، فان جميع القائمين على الشؤون المادية والثقافية للناس، هم كالمقاتلين و المجاهدين المرابطين في المعسكرات والثكنات:

أ) يراقبون في كل لحظة، تصرفات الخصم ويرصدون جميع التحركات والتناقلات في المجالات الاستراتيجية والتكتيكية؛

ب) وفي حالة حدوث أي صدع على جدران حصن المؤمنين، يتدخلون على وجه السرعة لسد هذه الثغرات والتصدعات؛

ج) يتصدون بكامل جهوزيتهم واستعدادهم، لصد أي عدون وتطاول بدقة وسرعة، ويعيدون الأمن لسكان حصن المؤمنين؛

د) ويهدون في ظل إضفاء المناعة الشاملة، الأمن الاستراتيجية للمؤمنين.

وفي هذه الظروف، تتحقق القوة والمناعة الشاملتين لجسم المؤمنين وأرواحهم، بحيث تحصل في كل لحظة إمكانية واقعة الظهور الشريفة، فهؤلاء جاهزون لنصرة الإمام بينما يقبلهم الإمام ويستقبلهم.

وبناء على ذلك، يمكن التساؤل:

إن الأعداء اللدودين لآل محمد عليهم السلام (اليهود وأعوانهم وأنصارهم) أيا من أعمال وأقوال القائمين على شؤون المسلمين في عصرنا وزماننا يكرمون، ومن أي منهم يغتاظون ويطردونه وينبذونه؟

ولاي من الأعمال (الثقافية والرياضية والسياسية والاقتصادية) يمنحون الجوائز والهبات، وأي عمل يرفضونه؟

إن عبارة «**يغيظ به عدوّنا**» وردت بهذا المعنى في قول الامام المعصوم عليه السلام.

الإنذار الأحمر المستديم حتى وقت الظهور

ومنـــذ ذلك اليوم الذي انتزع فيه من الإمام المعصوم والمنصوب من حضرة الحق ووصي رسول الله صلى الله عليه وآله، مجال إعمال الولاية والتصدي لأمر الخلافة، وأصبح الإمام ورســـول الله صلى الله عليه وآله على هامش المناسبات والتعاملات الكلية للمسلمين، أمسكت ســـلالة الســـلاطين والخلفاء، وغصبا، بزمام الســـلطة والمقام الذي لم يكن لها، وبالتالي انزلقت قافلة الامة الاســـلامية في منحدر التهاوي ومضت نحو السقوط في هاوية الجاهلية الثانية المخيفة والحديثة.

وطلعت من ذلك، الشـــجرة الخبيثة الملعونة، وأثمـــرت واينعت، وأدت بعد شهادة الذرية الطاهرة للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله إلى حصول واقعة الغيبة الكبرى لحضرة خاتم الأوصياء صلى الله عليه وآله.

ولذلـــك، ضاق الخناق يومـــا بعد يوم على الحياة الطيبـــة للمؤمنين، بحيث تحولت مجمل الآمال إلى يأس وقنوط وانطفأت جميع الأنوار وتحولت إلى ظلام دامس.

إن غلبـــة الثقافة والحضـــارة الغربية الملحدة، أقســـى وأعتـــى من أي حقبة وزمان، دفعت شـــمس الحقيقة القدسية للإختباء خلف السحب القاتمة للدنيوية (السكولارية) والإنســـانوية (المذهب الانساني) وعبادة اللذة (مذهب الهدونية) واســـتبداد الطواغيت (الملأ المترفون)، وأصبح مـــن الصعوبة بمكان الوصول إلى

تلـــك الحقيقة. ولذلك، أصبحت الحالة الثقافيـــة والحضارية للمؤمنين في وضع تحيط به المخاطر ويحفه الخوف والهلع الدائمين (الأحمر).

إن هذا الوضع المحفوف بالخوف والمخاطر، سيســـتمر إلى أن تبزغ شمس الحقيقة القدســـية وتخرج من خلف ســـتار الغيبة، وتذكّر المؤمنين وأكثر من أي وقت مضى، بـ«ضرورة الإنتشار في مقر المرابطة والحراسة».

قال اميرالمؤمنين عليّ بن ابي‌طالب عليه السلام:

«و إنّ أخا الحرب الأرق و من نام لم ينم عنه.»[1]

وربما يمكن بتســـامح، تقسيم المرابطة إلى قســـمين فردية داخلية، وجماعية خارجية.

ففـــي المرابطة الفردية يبذل الأشـــخاص فردا فردا، ســـعيهم للتقرب إلى امام الزمان عجل الله فرجه الشريف وجلب واكتساب الصفات الكمالية للامام المبين عن طريق المجاهدة النفســـية الكبرى وفي المرابطة الجماعية والخارجيـــة، يعمل المؤمنون من خلال إيجاد الجهوزية الشـــاملة واكتساب الأمن الاســـتراتيجي (السياسي والاجتماعي والثقافي و...) لرفع وازالة العقبات والحواجز والتمهيد لواقعة الظهور الشريفة. وهو ضرب من العمل والجهد **لمواكبة الإمام** عجل الله فرجه الشريف والمرابطة في فسطاطه.

عن **السندي** عن جده قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: **ما تقول فيمن مات على هذا الأمر منتظرا له؟** قال عليه السلام:

«هو بمنزلة من كان مع القائم عجل الله فرجه الشريف فى فسطاطه.»

ثم سكت هنيئة ثم قال عليه السلام:

«هو كمن كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله.»[2]

ويجب أن نبكي دما في مدينة وديار المســـلمين ومحبي أهل البيت عليهم السلام لاننا اختزلنـــا في عصر الغيبة واكتظاظ ظلم الزمان ومـــن منطلق الغفلة، فكرة المرابطة

---

١. **الشريف الرضي، محمّد بن حسين**، «نهج البلاغة للصبحي صالح»، قم، الطبعة الاولى، ١٤١٤هـ .ق.، ص ٤٥٢.
٢. **البرقي، احمد بن محمّد بن خالد**، «المحاسن»، قم، الطبعة الثانية، ١٣٧١هـ .ق.، ج ١، ص ١٧٣.

والانتشـــار الفعلي في الثكنات والمعســـكرات والتهيؤ للمجاهدة بالمال والنفس في ســـبيل الامامعجل الله فرجه وتكريم المهدوية وايام ميلاد هذا الامام الهمام وبدء إمامته، باقامة مراســـم واحتفالات عديمة الفائـــدة وملطخة أحيانا بلـــون وصبغة الرياء، ونمضي باقي ايام وأســـابيع وأشهر السنة في الجهل والغفلة، لنطيل من غير دراية ووعي، سنوات الغيبة.

وفـــي ضوء درك **ضـــرورة المرابطة** و**الحفاظ على شـــروطها اللازمة**، وكما بيناه في الأقسام الســـابقة بمدد الروايات الورادة، فان بوسع كل شخص طبيعي واعتباري، التعرف على مهامه وواجباته والعمل بها.

وفي عصر حكم ســـلاطين وخلفاء الجور، فان مرابطة اي شـــخص، تكتسي معنى ومغزى في نطاق العلاقات **الفردية** و**الأسرية** وعندما يصبح المحبون والشيعة مبســـوطي اليد فـــي أمر الملك والحكـــم وكذلك المرابطة في نطـــاق العلاقات الاجتماعية والحكومية.

إن الأطبـــاء والمزارعيـــن والصناعييـــن والرياضييـــن والمعلمين والعســـكريين والمهندســـين المعماريـــن ومخططي وباني المدن والتجار وســـائر المجموعات الاجتماعيـــة إن إهتموا بمعرفة تكاليفهم في عصر الغيبة وفي الســـنوات العصيبة لآخـــر الزمان، ســـيكون بمقدورهم من خـــلال الرجوع إلى المصـــادر المهدوية والإســـتناد إلى الروايات المسلمة الواردة من المعصومينعليهم السلام، التعرف على وصف واجباتهم ومهامهم الملقاة على عاتقهم والعمل بها لتتحقق المرابطة لديهم.

كما يتعين علـــى الوزراء والنواب وأصحاب المناصب والقائمين على الأنظمة السياســـية والاجتماعية للمســـلمين التقيد بهـــذا الأمر وإعـــادة تعريف موقعهم ومنصبهم.

إن اعتماد **استراتيجية الانتظار** ودركها والإقتناع بها قلبيا، يشكل الخطوة الاولى لســـلوك الطريق الذي يرشد صناع القرار نحو **معسكر المرابطين**، وبغير ذلك، ومن دون كل ذلـــك، فـــان تزيين المدن بالمصابيح في يـــوم وليلة ميلاد حضرة صابح

الزمان عجل الله فرجه الشريف وتوزيع الحلوى، لا يزيد سوى من سماكة ستائر الغفلة والبعد.

إن مـــا لا يجـــب إغفاله هو **النية الصافية للعمل** من أجـــل الامام و**تمتين العهد** والميثاق معه. إن هذا الشـــئ، يوجه مجمل الفكر والأعمال ويضع المؤمنين على سكة وجادة **المرابطة الإيمانية للمنتظرين**، وما عدا ذلك، ليسوا قلائل الرجال والنساء الذيـــن ينفقون الغالي والنفيس في الأعمال الخيرية وطبعا خدماتهم هذه مأجورة، لكن هذه الأعمال ورغم كونها ممدوحة ومأجورة ومشـــروعة، لا تشـــكل مصداقا للمرابطة مع امام الزمان عجل الله فرجه الشريف.

صلة الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف بواسطة المال

لقد خصص الباحثون في بعض الكتب المهدوية، فصلا مسهبا لتكليف المنتظرين، وعددوا تحت هذا العنوان، التكاليف الفردية والجماعية للمؤمنين وتحدثوا عن الصلة وبذل المال في سبيل الامام.

وعبرت الروايات عن هذا العمل كونه **مستحبا ومؤكدا وفريضة** ومصداقا خاصا للقرض الحسن. وروى **الشيخ الكليني** في كتابه «الكافي» باسناده عن **المفضل بن عمر** عن **الخيبري** و **يونس بن ظبيان** قالا: سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«ما من شيء أحب إلى الله من إخراج الدراهم إلى الإمام و إن الله ليجعل له الدرهم فى الجنة مثل جبل أحد.»

ثم قال عليه السلام:

«إن الله تعالى يقول فى كتابه «مَنْ ذَا الّذِى يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً»[1]

قال عليه السلام:

«هو و الله فى صلة الإمام خاصة.»[2]

روي في «بحارالانوار» و «تفسير البرهان» عن **العياشي** باسناده عن **مفضل**

---

١. سورة البقرة، الآية ٢٤٥.

٢. **الكليني، محمّد بن يعقوب**، «الكافي»، ج ١، ص ٥٣٧.

بن عمر قال:

دخلت علي أبي عبدالله(ع) يوما و معي شيء فوضعته بين يديه. فقال(ع): **«ما هذا؟»** فقلت: **هذه صلة مواليك و عبيدك.** قال فقال لي(ع):

«يا مفضل إنى لأقبل ذلك و ما أقبل من حاجة بى إليه و ما أقبله إلا ليزكوا به.»

ثم قال(ع):

«سمعت أبى(ع) يقول من مضت له سنة لم يصلنا من ماله قل أو كثر لم ينظر الله إليه يوم القيامة إلا أن يعفو الله عنه.»

ثم قال(ع):

«يا مفضل إنها فريضة فرضها الله على شيعتنا فى كتابه إذ يقول «لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتّى تُنْفِقُوا مِمّا تُحِبُّونَ» [1] **فنحن البر و التقوى و سبيل الهدى و باب التقوى لا يحجب دعاؤنا عن الله اقتصروا على حلالكم و حرامكم فسلوا عنه و إياكم أن تسألوا أحدا من الفقهاء عما لا يعينكم [يعنيكم] و عما ستر الله عنكم.»**[2]

وتعني الصلة، العطية والبر والترابط والإرتباط والرابطة والعلاقة، ويقصد بها، الجهد الذي يرمي لحفظ التواصل والمرابطة مع الحجة وولي الله. إن حضرة باب الله وسبيل الله، يوفر عن طريق العطية والمنحة، ولكونه يملك مقام باب الله، جميع إمكانات نيل المؤمنين لمقام الأبرار.

عن **الحسن بن موسي** قال روى أصحابنا أنه سئل أبو عبد الله(ع) عن قوله تعالي **«وَ الَّذِينَ يَصِلُونَ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ»**[3] قال(ع):

---

١. سورة آل عمران، الآية ٩٢.

٢. **المجلسي، محمّد باقر**، «بحار الأنوار»، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ .ق.، ج ٩٣، ص ٢١٦؛ **البحراني، السيّد هاشم بن سليمان**، «البرهان في تفسير القرآن»، قم، الطبعة الاولى، ١٣٧٤هـ .ش.، ج ١، ص ٦٥٣؛ نقلا عن **العياشي، محمّد بن مسعود**، «تفسير العياشي»، طهران، الطبعة الاولى، ١٣٨٠هـ .ق.، ج ١، ص ١٨٤.

٣. سورة الرعد، الآية ٢١.

«هو صلة الإمام فی کل سنة مما قل أو کثر.»

ثم قال أبوعبدالله عليه السلام:

«و ما أريد بذلک إلا تزکيتکم.»[1]

ويجب بالضرورة، توثيق جميع أواصر الترابط مع الإمام بإحكام، والوصول عن طريق الصلة إلى تلك الدرجة من الطهر، لتتوافر جدارة الإتصال والتقرب إلى ذلك الوجود الشريف، وألم يقل سبحانه وتعالى:

«لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ»[2]

لا يلمس القرآن الصامت والناطق، إلا اذا كان في فئة الطاهرين والمطهرين.

روي عن **إسحاق بن يعقوب** قال: سألت **محمّد بن عثمان العمري** عليه السلام أن يوصل لي كتابا قد سألت فيه عن مسائل أشكلت علي فوردت في التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف:

«[...] و أما أموالکم فلا نقبلها إلا لتطهروا فمن شاء فليصل و من شاء فليقطع فما آتانی الله خير مما آتاکم...»[3]

---

١. **المجلسي، محمّد باقر**، «بحار الأنوار»، ج ٩٣، ص ٢١٦؛ نقلا عن **العياشي، محمّد بن مسعود**، «تفسير العياشي»، ج ٢، ص ٢٠٩.

٢. سورة الواقعة، الآية ٧٩.

٣. **ابن بابويه الصدوق، محمّد بن علي**، «كمال‌الدين و تمام‌النعمة»، طهران، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ .ق.، ج ٢، ص ٤٨٣.

قاعدة نفي السبيل!

إن القواعد والتشـــريعات التي وضعها الله سبحانه وتعالى لتنظيم العلاقات المادية والثقافية للمســـلمين، دقيقة ومحددة للحدود والثغور وموجبة للحصانة، ومن تلك القواعد «قاعدة نفي السبيل، المأخوذة من الآية الكريمة:

«لَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكافِرينَ عَلَى الْمُؤْمِنينَ سَبيلًا»[1]

إن جـــل معنى ومفهوم تفوق وأفضلية المؤمنيـــن على الكافرين، تتضمنه هذه الآية الكريمة، ومعناها أن المؤمنين ســـيكونون دائما وباذن الله الغالبين والمتفوقين طالما التزموا بمتطلبات الايمان، ولا يجب أن يحصل الكافرون على سبيل للهيمنة عليهم.

إن هذه القاعدة هي من ســـنن الله المتعال، وطالما لم يوفر المؤمنون أنفسهم أسباب نفوذ وسلطة الكافرين عليهم، فان هذا التفوق سيدوم.

قال الله عزّ و جلّ:

«وَلا تَهِنوا وَلا تَحزَنوا وَأَنتُمُ الأَعلَونَ إِن كُنتُم مُؤمِنينَ»[2]

ورغـــم أن الآيـــات، تنطوي في حـــد ذاتها على مجمل معنـــى الأمل والوعد بتفوق المؤمنين على الكافرين في الآخرة، وترى أن المســـتقبل هو للمؤمنين، بيد

---

١. سورة النساء، الآية ١٤١.

٢. سورة آل عمران، الآية ١٣٩.

أنها تنطوي أيضا على أفضلية وأولوية المسلمين والمؤمنين بسبب إنتسابهم إلى الاسلام وذرية العصمة والطهارة عليهم السلام. مثلما قال الله تعالى:

«وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ»[١]

إن «قاعدة نفي السبيل» هي من القواعد الفقهية الثانوية تحظر أي سيطرة وهيمنة للكافر على المسلم، أي أن أي ارتباط وتواصل بين المسلمين والكافرين يتمخض عنه سلطة الكافرين على المسلمين، لا اعتبار ومصداقية لهما بحكم هذه القاعدة.

إن سلطة العدو على المجتمع الاسلامى، هى غير لائقة وغير ملائمة من وجهة نظر الفقه الاسلامى، وأى تواصل يفضى إلى توسيع نطاق نفوذ غير المسلمين والأجانب فى المجتمع الاسلامى، بحيث يجعلهم قادرين على التدخل فى شؤون المسلمين، يعتبر أمرا محظورا وممنوعا.[٢]

وتملك قاعدة نفى السبيل، الفيتو فى العلاقات الخارجية للاسلام والمسلمين. وفعليا، فان أى عقد وقرار فى مختلف الميادين الاقتصادية والسياسية والعسكرية والثقافية و... إن تحول إلى مقدمة وتمهيد لسيطرة الكفار على المسلمين، فان قاعدة نفى السبيل، تتدخل وتبطل ذلک العقد وتلغيه.[٣]

وبالأحرى، فان الأدنى لا يجب أن يتفوق على الأعلى والأفضل ويهيمن عليه. قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«الإسلام يعلو و لا يعلى عليه نحن نرثهم و لا يرثونا.»[٤]

---

١. سورة المنافقون، الآية ٨.

٢. **زارعي، بهادر** و **زيني‌وند، علي** و **محمدي، كيميا**، «قاعدة نفي السبيل في الفكر الإسلامي والسياسة الخارجية للجمهورية الإسلامية الإيرانية»، فصلية بحثية لدراسات الثورة الاسلامية، ١٣٩٣هـ .ش.، العدد ٣٦، ص ١٦٨.

٣. **زنكنة شهركي، جعفر**، «قاعدة نفي السبيل و الآراء الفقهية والمواقف السياسية لصاحب العروة»، مجلة الفقه، ١٣٩١هـ .ش.، العدد ٣.

٤. **نوري، حسين بن محمّد تقي**، «مستدرك الوسائل و مستنبط المسائل»، قم، الطبعة الاولى، ١٤٠٨هـ .ق.، ج ١٧، ص ١٤٢.

إن الرفعة والسمو المتلازمان مع الاسلام، يبينان بالتالي رفعة وسمو المؤمنين على غير المسلمين وغير المؤمنين في جميع المراتب، وهذا أمر دائم، أكان في الدنيا أو الآخرة!

إن قاعدة نفي السبيل تعد من المستندات واجبة التنفيذ لحماية وصيانة عزة المؤمنين والمسلمين وسيادتهم ونبذ أي سلطة مادية وثقافية واقتصادية وسياسية وثقافية وأمنية أجنبية.

إن هذه القاعدة الفقهية في المجتمعات الاسلامية، يتم مراعاتها والعمل بها في بعض القضايا والعلاقات الفردية على هيئة الأحكام العائلية بما فيها الميراث وأحيانا القضاء، لكنها تهمش في المسائل العامة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والصحية للمجتمع الاسلامي والشيعي بسبب غلبة وسلطة المثقفين غربيي النزعة ما يمهد لتوغل ونفوذ وسيطرة الأجانب على مقدرات ومصائر المسلمين والشيعة فضلا عن إطلاق يد الكفار والمنافقين للتدخل في شؤون المستضعفين المؤمنين.

إن أحد مستندات هذه القاعدة الفقهية هو «حديث الاعتلاء» الذي نقل عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله:

«الإسلام يعلو و لا يعلى عليه و الكفار بمنزلة الموتى لا يحجبون و لا يرثون.»[1]

وقد جعل الله تعالى في الآية الثامنة من سورة «المنافقون»، عزة المؤمنين متكافئة مع عزته ورسوله، لذلك فان مسلما ما لا يستطيع الدخول في ميدان وتشريع أحكام تؤدي إلى ذل وهوان المسلمين، مثلما أنه غير قادر وضع وإصدار أحكام تفضي إلى عزة الكفار ومذلة المسلمين.

ويتبادر هذا السؤال إلى الأذهان وهو كيف أن أصحاب المناصب والتواقيع في الأوطان الاسلامية يقبلون القاعدة الفقهية «نفي السبيل» في الشؤون الجزئية

١. **الحر العاملي، محمّد بن حسن**، «وسائل الشيعه»، ج ٢٦، ص ١٢٥.

ويتقيدون بها وحتى يضعونها موضع التطبيق ويعتبرونها فرضا شرعيا في العلاقات بين الناس، لكنهم يتمصلون من قبولها وتنفيذها في مجال الحكم والحكومة وذلك من خلال إقحام اعتباراتهم السياسية والاقتصادية والإيديولوجية، ويمهدون بوقاحة لتوغل ونفوذ الكفار والمشركين في الهيكلية الثقافي والحضاري للمسلمين.

وفي المنظور الاسلامي، فان الكافر، نجس وأن الإسلام مطهر، لذلك لا يستطيع الكافر ولا يجب أن يتولى ويترأس المدارس والجامعات والمؤسسات ذات النفع العام التابعة للمسلمين، كما يحظر إناطة إدارة المراكز الثقافية والتربوية والعلاجية والمالية التابعة للمسلمين، للكفار، لان ذلك يمهد للسلطة والنفوذ التاريخيين للكفار على الشؤون التعليمية والتربوية والصحية والعلاجية والاقتصادية والمعيشية ويؤدي بالتالي إلى ذل المؤمنين.

إن علو وسمو الاسلام ورفعة شأنه والطهر والعزة الذاتية لذرية الوحي[1] يتجسد في مراعاة هذه القاعدة في مجال المناسبات والعلاقات الفردية والإجتماعية للمجتمع الاسلامي. بعبارة أخرى، كون أصحاب التواقيع والمناصب ومن يتولون إدارة شؤون المسلمين في مجال نظام الحكم، في حالة يقظة وتنبه ومعرفة وعمل، يسهم في تبلور هذا العلو والتفوق، ويمنح الحصانة للمسلمين والمؤمنين بهذا الدين الكامل. وبغير ذلك، فان الكفار وأعوانهم وأشياعهم يخترقون الساحة عبر المنافذ والمداخل المستحدثة ليفرضوا سلطتهم الشاملة وإخضاع المؤمنين تحت نير المذلة والحزي والعار.

ولهذا السبب وبناء على هذه القاعدة، فان الكافر لا يرث المسلم بيد أن المسلم يرث الكافر.

وروى **محمد بن سنان** عن **عبد الرحمن بن اعين**، أن الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام سئل عن الرجل النصراني الذي يموت ويخلف ولدا مسلما، فقال الإمام عليه السلام:

١. «**اِنَّما يُريدُ اللهُ لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرِّجسَ اَهلَ البَيتِ وَ يُطَهِّرَكُم تَطهيراً**» (سورة الأحزاب، الآية ٣٣.)

«إن الله عز و جل لم يزده بالإسلام إلا عزا فنحن نرثهم و لا يرثونا.»[1]

إن أئمة الهدى عليهم السلام يرون أن أي كافر ونصراني ويهودي وغير مسلم، ليسوا مطلقي العنان للتصرف في شؤون المسلمين. روي عن الباقر عليه السلام أنه قال:

«لا يرث اليهودى و لا النصرانى المسلم و يرث المسلم اليهودى و النصرانى.»[2]

ومنذ أن أنتزعت كل الإمكانية اللازمة من أئمة الهدى عليهم السلام لممارسة وتطبيق الولاية ومقام الخلافة في الأرض، وارتقى الخلفاء والسلاطين الغاصبين، سدة الإمامة والإمارة والملك، فقدت الأحكام الشرعية جل إعتبارها ومركزها الاجتماعي ووظائفها الحكومية واقتصرت على المناسبات الفردية، وغدا الكفار والنصارى واليهود، شيئا فشئيا مسيطرين على جميع شؤون المسلمين من خلال اختراق طبقات العلاقات الفردية والإجتماعية للمسلمين واستورثوا كل الموارد الطبيعية التي منحها الله للمسلمين. ومن جهة أخرى، وفي ضوء التفوق الثقافي والحضاري للغرب على الشرق الإسلامي وبروز الضعف والفتور والهزال في أركان ودعائم الحياة الثقافية والمادية للمسلمين، أصبح المسلمون يمدون يد الإستجداء لليهود والنصارى وجعلوا جميع أحكامهم الدنيوية الملوثة، تتصدر حياتهم، وحدث أن لم يبق أثر من الإسلامية بين المسلمين.

وباتوا منبهرين باليهود والمسيحيين، ولم يحملوا من الاسلام سوى إسم بلا مسمى.

ومع خروج المساحة الثقافية والحضارية من الشرق الاسلامي (على مدى الأعوام ال ۲۰۰ الأخيرة) وانتقالها إلى ماوراء «البحر الأبيض المتوسط» أي أوروبا الغربية، انمحقت جميع التعاليم والعناصر الثقافية والحضارية التقليدية الشرقية، وأصبحت في ظل الحضارة الغربية.

---

۱. **الكليني، محمّد بن يعقوب**، «الكافي»، ج ۷، ص ۱۴۳.
۲. المصدر السابق.

وخسرت جميع الأحكام الاسلامية، وجهها الحضاري والثقافي وتحولت في أدنى مستوياتها إلى منظم للشؤون الفردية والأسرية (الزواج والطلاق والطهارة والمعاملات الصغيرة و...).

وفي العصر الحديث، ومع دخول المستعمرين إلى الشرق الاسلامي، عن طريق المحافل الماسونية الخفية، فان فريقا من الأمراء والمنتمين لأصحاب السلطة والثروة، ذهبوا إلى الغرب، وعادوا بعد تلقيهم واجتذابهم التعاليم الإلحادية، إلى أوطانهم تركية ومصر والعراق وايران كمثقفين ومنبهرين بالغرب، وتسنموا كل المناصب الكبرى، ليتحولوا إلى دعاة ومروجين للتراث اليهودي والنصراني للعصر الحديث بين المسلمين.

ويمر اليوم زهاء مائتي عام على هذه الواقعة، وهذا الوضع مازال قائما على قدم وساق في مساحة واسعة من شرق اسيا وغربها وبين جميع البلدان الاسلامية. بعبارة أخرى، فقد **عكس** المثقفون القاعدة، أي وبدلا من سد الطريق على نفوذ وتوغل الأجانب لاسيما المستعمرين الغربيين في البلدان الاسلامية، أخذوا يمهدون ويحضرون لتواجدهم في مختلف مجالات وتعاملات المسلمين.

وبذلك، فقد نهب الغربيون، كل التراث الطاهر للمسلمين، بينما لم يكن لديهم الحق في ذلك، وفرضوا تراثهم المدنس على المسلمين، بينما لم يؤذن للمسلمين تلقيه.

وكما نعلم:

– إن جميع الحقول العلمية والجامعية شرق «المتوسط» ملوثة بالأسس والمصادر والقواعد الإنسانوية والعلمانية الغربية؛

– إن جميع الإستراتيجيات والتكتيكات العسكرية والاقتصادية والسياسية للبلدان الاسلامية، ملوثة بالأسس والمصادر العلمانية ونابعة من الفكر الغربي الملحد؛

– إن جميع أوجه الحياة المادية للمسلمين، بما فيها بناء المدن وفن العمارة

واللبـــاس و...، مستنســـخة من الإنجـــازات غير التوحيدية وغيـــر الإلهية للغرب الحديث؛

– إن المســـلمين يفكرون كالغربيين، ويعيشون كالغربيين، وينظرون إلى العالم والإنســـان كالغربيين، بينما هم ليســـوا غربيين، ويمضون حياتهم في مجموعة من المناســـبات والتعاملات المغشوشة وعديمة النظام والمضطربة. إنهم النازعون إلى الغرب والمصابون بطاعون العصر الحديث.

إن درك «قاعدة نفي الســـبيل» والإيمان بافضلية وأشـــرفية الاســـلام والتراث الاســـلامي واعتبار شأن المســـلمين ومؤمني آل محمد عليهم السلام متفوقا، ضروري في التطيـــق والتفكيـــر لجميع حراس الثغور من المؤمنين الذيـــن يرون أن من واجبهم المرابطة مع إمامهم الحي والحاضر.

روى **عبدالرّحمن بن أعين** عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال:

«لا يتـــوارث أهـــل ملتين نحـــن نرثهم و لا يرثونا فـــإن الله عز و جل لم يزدنا – بالإسلام إلا عزا.»[1]

إن المسلمين وعلى النقيض من حكم الله المتعال والمعصومين عليهم السلام، يقدمون مســـبقا كل الممتلـــكات المادية والمعنويـــة للمؤمنين، للأعـــداء ومنكري أحقية الإسلام والمسلمين، مجانا وبتبجيل.

إنهم يختارون سنويا من خلال إقامة مسابقات الأولمبياد العامة، خيرة وصفوة التلامـــذة في جميع الفروع الدراســـية، ويرســـلونهم بحفاوة وتيجـــان الزهور على أعناقهـــم إلى بلدان اليهود والنصارى، لكي يقتطف الغربيون، الزهرة التي يرون أنها أطيب وأزكى رائحة، ويضمونها إليهم.

فمـــا حصيلة هذا العطاء والكرم غير العـــادل وفي غير محله، وماذا جنينا منه لحد الان؟

وفـــي ماراثون مضن، نقحم ملايين الشـــبان في الإمتحانات العامة للقبول في

١. **ابن بابويه الصدوق، محمّد بن علي**، «من لا يحضره الفقيه»، قم، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ .ق.، ج ٤، ص ٣٣٥.

الجامعـــات، ونربي أكثرهـــم موهبة في أفضل جامعات الدول الاســـلامية، وبعد أن يكتســـبوا المهـــارات والتخصصات اللازمة نقدمهم كهديـــة زرافات ووحدانا، لـ«كندا» و«اســـتراليا» و«بريطانيا» و... وكيف لا نقدر على حســـاب الخسائر التي تلحق بالاسلام والمجتمع الاسلامي بهذه الطريقة، وكأن هذه الهجرة تحولت إلى لا شئ بالنسبة لنا؟!

وبمحاذاة كل ذلك، وفي ظل الإصابة القاســـية بعدوى التنوير الفكري، نقبل بجميع البروتوكولات الثقافية والاجتماعية (مثل رؤية ٢٠٣٠) المملاة علينا من قبل المؤسســـات الماسونية الإلحادية بما فيها «اليونسكو» وسائر المنظمات الدولية وكأنها وحـــي منزل ونطالب بتطبيقها في جميع المـــدارس. ونفترض أن «عقيدة واستراتيجيات التنمية» وقبول مجموعة العمل المالي (فاتف FATF) يمثل أنسب خيار للخروج من الأزمات والكفيل بتحقيق التقدم الاقتصادي، ونمهد من خلال التراجـــع مرحلة فمرحلة، عن التقاليد الدينية وحتى الوطنية، مجمل المناخ والفرص لسريان تلك الاستراتيجيات في الميادين المادية والثقافية لهذه البلاد.

وكل هـــذا يوضح أن ضربا من إنفصام التطبيق عن النظرية والإنبهار الناتج عن التنوير الفكري الغربي جرى بين المسلمين من أصحاب المناصب، وأبعدهم تماما عن مبادئ وأسس الدين الاسلامي الحنيف.

إنهـــم في الأعمال الفردية، متدينون وفي الظاهر مســـلمون وحتى يرتدون زي علمـــاء الدين أحيانا، لكنهم وفي توجهاتهـــم ونظرتهم العامة لعلاقات وتعاملات الجماهير المســـلمة، ملتزمين بالعهد الغربي ومتلقي دروس المدارســـة الإلحادية الغربية.

إن مـــن يفهم في الحقيقية مجمل معنـــى ومفهوم **المرابطة** مع إمام الزمان عجل الله فرجه ويجعـــل من وظيفته ومهمته حراســـة الحدود والثغور الترابيـــة والعقائدية والثقافية والسياســـية والاقتصادية للبلاد الاســـلامية والشـــيعية، يدرك عمـــق «قاعدة نفي السبيل» ويعتبر نفسا ضامنا لتلك القاعدة ومحافظا عليها وملتزم بها.